الشيخ/ بكر محمد إبراهيم

نساء النبى ﷺ

مكتبة القدسى
للنشر والتوزيع

٧٤ ش البستان ـ عابدين ـ القاهرة
ت: ٣٩٢٥٦٨٨

مكتبة القدس

للنشر والتوزيع

٧٤ ش البستان ـ عابدين ـ القاهرة

ت : ٣٩٢٥٦٨٨

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م

تطلب مطبوعاتنا

من

مركز توزيع الكتاب الإسلامى

٢ درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر

القاهرة

المقدمة

الحمد لله الذى أتم علينا النعمة وختم الرسالات برسالة محمد ﷺ وختم الكتب بالقرآن الكريم .

والصلاة والسلام على نبى الله محمد وعلى آله وأزواجه وصحبه أجمعين.

أشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين .

وبعد ،،،

فهذا كتاب نساء النبى ﷺ يتضمن قصص زواج النبى ﷺ من خير نساء العالمين أمهات المؤمنين وسراريه (جواريه) والنساء اللائى لم يدخل بهن.

وزوجاته هن خديجة وعائشة وسودة وحفصة وزينب وأم سلمة وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث وصفية بنت حُيٍّ وأم حبيبة رملة بنت أبى سفيان وميمونة بنت الحارث ، وجوارية مارية وريحانة ولكل واحدة من هؤلاء النساء الفضليات قصة شيقة فهن القدوة بين النساء طاهرات صالحات سخيات عالمات رضى الله تعالى عنهن أجمعين .

وزواجه ﷺ من خديجة كان خيرا وبركة عليه وعلى الإسلام فهى التى آمنت به وصدقته وواسته بمالها ورزقه الله منها الولد، وعائشة هى الصديقة بنت الصديق حبيبه ووزيره ومعينه .

وسودة أرملة مؤمنة وحفصة بنت عمر صاحبه ووزيره ، وأم سلمة أرملة مؤمنة وزينب بنت جحش ابنة عمته وبزواجه بها بطل التبنى وجويرية بنت الحارث كانت بركة على قومها حيث أطلق المسلمون سراح أسرى قومها بنى المصطلق ودخل قومها فى الإسلام .

وصفية بنت ملك اليهود حُيىٍّ بن أخطب وأم حبيبة بنت زعيم قريش أبى سفيان وميمونة هى بنت الحارث الهلالية خالة بن عباس سيدة مؤمنة صالحة رضى الله عن زوجات النبى ﷺ وقد مهدت للكتاب بمختصر من سيرة الرسول ﷺ قبل الحديث عن أزواجه .

نفع الله به وجعله فى ميزان حسناتنا وشفع فينا نبيه ورسوله المصطفى ﷺ والحمد لله أولا وأخراً .

المؤلف

الشيخ / بكر محمد إبراهيم

رئيس أنصار السنة بالسلام

وعضو إتحاد الكتاب

النسب النبوى (١)

محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليما كثيراً ، ابن عبد الله ، بن عبد المطلب ، ابن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قُصى ، بن كلاب ، بن مُرّة ، بن كعب، بن لؤىّ ، بن غالب ، بن فِهْر ، بن مالك ، بن النَّضْر ، بن كِنانة ، بن خُزيمة ، بن مُدْرِكة ، بن إلياس ، بن مُضر ، ابن نِزار ، بن مَعدّ ، بن عدنان ، ابن أُدٍّ ، بن أُدَدَ ، بن اليسع ، بن الهميسع ، بن سلامان ، بن نَبْت ، بن حَمَل ، بن قَيْذار ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم ، بن تارح ، بن ناحور ، بن ساروغ ، بن أرغو ، بن فانغ ، بن عابر ، بن شالخ ، بن أرْفخشذ ، بن سام ، بن نوح ، بن لَمْك ، بن مُتُّوشلخ ، بن أَخْنُوخ ، بن يارد ، بن مهلاييل ، بن قَيْنان ، بن أنوش ، بن شيث ، بن آدم صفى الله .

جد النبى ﷺ (٢)

أهدى فرعون مصر إلى إبراهيم عليه السلام أبى الأنبياء هاجر عليها السلام فأسلمت وحسن إسلامها ، ولم يكن رسول الله إبراهيم قد رزق بعد بأولاد من السيدة سارة ابنة عمه وهى التى أشارت عليه بالزواج من هاجر لعل الله يرزقه منها بولد ... وقد كان وحملت هاجر بإسماعيل عليه السلام جد النبى ﷺ، وقد كان إسماعيل رسولاً نبياً وقد مدحه الله تعالى وأثنى عليه فى القرآن الكريم.

أمر الله تعالى نبيه إبراهيم أن يتوجه إلى برية فاران (صحراء مكة) ومعه زوجه هاجر وولده إسماعيل إلى هذا المكان القفر الذى لا رزع فيه ولا ماء. وترك إبراهيم زوجته هاجر وولدها الرضيع إسماعيل فى هذا المكان بأمر ربه .

(١) الشجرة النبوية «جمال الدين بن يوسف» .

(٢) السيرة النبوية من تألفينا .

وقد زودها بجراب من تمر وقربة ماء . فسأله كيف تتركنا يا إبراهيم فى هذا المكان فلم يرد عليها فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . وهذا يدل على شدة إيمانها وعظيم ثقتها بالله عز وجل .

قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾ [إبراهيم]

وبعد فترة من الزمن نفذ ما مع هاجر من زاد ـ طعام وشراب ـ ، وبدأت تسعى بين الصفا والمروة تبحث عن الطعام والشراب لطفلها الرضيع الذى أحس بالجوع والعطش وبعد الشوط السابع ، وبعد أن كلت وجدت الماء ينبع من تحت قدمى طفلها الحبيب ، وتجرى هاجر إلى الماء فرحة مسرورة شاكرة لله رحمته وعنايته تجرف بيديها الرمال تحجر على الماء وتقول : زمى زمى ، فكانت بئر زمزم المباركة التى أخذ يستق منها الناس والحجيج حتى يومنا هذا .

يقول الرسول ﷺ عن ماء زمزم : «ماء زمزم لما شرب له» ، وأوصى الرسول ﷺ من يشرب من ماء زمزم أن يتضلع أى يشرب حتى يرتوى .

البلد الآمن

ومرت قافلة من الأعراب من قبيلة جرهم إلى هذا المكان المبارك فشاهدوا الطير تحط على هذا المكان الذى كانوا يعهدونه قفراً خالياً من الماء فعرفوا أنه أصبح فيه ماء ، فنزلوا فى هذا المكان بعد أن استأذنوا من أم إسماعيل عليه السلام فأذنت لهم . وهكذا نشأ مجتمع جديد وبلد آمن فى هذا المكان القفر وتحقق وعد الله تعالى لإبراهيم عليه السلام واستجاب دعوته ورزق أهله من

الثمرات لعلهم يشكرون وأهوى إليهم أفئدة ، أى ساق إليهم ناساً يعمرون المكان ويحبون الإقامة فيه .

الذبيح

ومرت الأيام والسنون وإسماعيل يشب ويكبر حتى أصبح غلاماً ناضجاً وكان يرعى الأغنام ويصطاد الخيول والحيوانات البرية وتعلم فنون القتال .

وفى يوم من الأيام وبعد أن بلغ إسماعيل عليه السلام مبلغ السعى رأى نبى الله إبراهيم عليه السلام رؤيا تكررت فى ثلاثة أيام ،

قال تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) ﴾ [الصافات]

وتوجه وإسماعيل عليهما السلام إلى الصحراء ومعه المدية (السكين) وأسلما وجههما إلى الله تعالى قال عز وجل :

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) ﴾ [الصافات]

أى وضع وجهه على الأرض وفوضا أمرهما إلى الله تعالى وعزما عزماً أكيداً على تنفيذ أمره ... هنا أدركتهما رحمة الله وعنايته وحفظه ... ونزل جبريل عليه السلام ومعه كبش أبيض سمين ووضعه تحت السكين وأمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح الكبش فداءً لابنه ، وهذا هو الفداء العظيم والفداء هو البدل .

قال تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) ﴾ [الصافات]

وعاش إسماعيل فى مكة ونبأه الله تعالى وكلفه بالرسالة أى جعله رسولاً نبياً ، وتزوج فكان من نسله رسولنا الكريم ﷺ ، وهكذا اصطفى الله نبيه من خير الأصلاب وأطهر الأرحام .

«إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل وإصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة وإصطفى من بنى كنانة قريشاً ، وإصطفى من قريش بن هاشم ، وإصطفانى من بنى هاشم» .

الذبيح الثانى

وتمر القرون حتى ينذر عبد المطلب جد النبى ﷺ إن رزقه الله تعالى عشرة من الولد الذكور أن يذبح واحداً منهم تقرباً إلى الله لما نازعته قريش على ملكية بئر زمزم التى حفرها بأمر من الله تعالى برؤيا رآها فى المنام : احفر المضنونة، احفر طيبة. احفر زمزم ، رؤيا رآها وتكررت على مدى ثلاثة أيام ودل فى المنام على مكانها ، وذهب عبد المطلب وزعماء قريش يحتكمون إلى كاهنة فى الشام ونفد الماء حتى كادوا يهلكوا ثم أمرهم عبد المطلب بالحفر ونبع الماء من حفرة عبد المطلب فرجعوا عن منازعته وعادوا ولم يحتكموا . ومرت الأيام واستجيب لعبد المطلب فرزق عشرة من الولد الذكور غير الإناث .

وأراد عبد المطلب أن يفى بنذره فأجرى القرعة على أولاده بعد أن جمعهم فوقعت القرعة على عبد الله والد النبى ﷺ ليذبح فأجراها ثانية وثالثة وهى تخرج على عبد الله .

فأراد أن يذبحه ويفى بنذره فوقف له أخوال عبد الله وكبار القوم من قريش وقالوا له لو فعلت ذلك يا عبد المطلب لصارت سُنة (طريقة) واقتدى الناس بك وذبحوا أولادهم فقال لهم لابد من الوفاء بالنذر فاقترحوا عليه أن يجرى قرعة على ولده فى مقابل عشرة من الإبل فى كل مرة وكانت هذه مشورة كاهنة الكهان.

وكانت القرعة وهى سهام يضربونها فى القداح، وكانت القرعة فى كل مرة تخرج على عبد الله حتى إذا وصلت الإبل إلى مائة فأعاد القرعة ثانية وثالثة وهى تخرج على الإبل، فذبحها بدلا من ولده. وهكذا سمى عبد الله بن عبد المطلب الذبيح الثانى، إلا أنه فدى من الذبح كما فدى من قبل جده إسماعيل.

وكان عبد الله أحب أبناء عبد المطلب إلى قلبه ، وكان فتى جميلاً يبدو فى وجهه نور مشرق ، وكانت فتيات قريش ترغب فى الزواج منه ويتعرضن له فى الطرقات ، ولكن عبد المطلب كان قد اختار لابنه فتاة ذات حسب ونسب هى آمنة بنت وهب ... ودعى الناس لحفل الزواج ... وتم هذا الزواج المبارك .. وهكذا انتقل النور من وجهه إلى رحم زوجته آمنة التى حملت بالمصطفى ﷺ سيد العالم ورسول رب العالمين .

وفاة عبد الله

بعد أن حملت آمنة بنت وهب ، مضت ثلاثة شهور وخرج عبد الله فى قافلة تجارية فى رحلة الصيف إلى الشتاء كما كانت عادة التجار من قريش ... وفى أثناء رجوعه مع القافلة أصيب بمرض مفاجئ ، فأنزلوه فى ديار أخواله «بنى النجار» بالمدينة (يثرب) وهناك وافاه الأجل .

وعلم عبد المطلب بخبر موت عبد الله فحزن حزناً شديداً لأنه كان يحبه ، كما حزنت آمنة زوجته .

ومرت الأيام وآمنة تترقب الحمل ، وكانت ترى فى المنام من يقول لها إنك حملت بسيد هذا العالم ويقول لها إذا وضعت مولودك فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وسميه محمداً . وكانت ترى كأنه خرج من بطنها نور أضاء المشارق والمغارب وكانت لا تجد لحمله ألماً ولا ثقلاً كما هى عادة النساء أن يشعرن بمتاعب شديدة أثناء الحمل والوضع .

ولادة المصطفى ﷺ

كانت آمنة تعيش فى بيت متواضع فى مكة وكانت حزينة على موت زوجها ولكنها كانت سعيدة بحملها وتترقب ولادته وكذلك كان عبد المطلب جده ينتظر المولود ويرى فيه عوضاً عن عبد الله وكان يتمنى أن يكون ذكراً .

وعلى أكثر الروايات أنه فى فجر يوم الاثنين عشر من ربيع الأول من عام الفيل وضعت آمنة حملها «ذكراً» وأسرع أحد العبيد يبشر عبد المطلب وهو جالس عند الكعبة وحوله كبراء قريش وهو يقول له أبشر يا سيدى فقام عبد المطلب وقال له : ما وراءك ؟ قال : آمنة وضعت حملها يا سيدى .

قال عبد المطلب : ذكراً أم أنثى ؟

قال بل ذكراً يا سيدى .

وهنا تهلل وجه عبد المطلب بشراً وسعادة وهو يقول لمن حوله من سادات قريش أشيروا على ... ماذا أسميه ؟

فاقترحوا عليه أسماء من أسماء الجاهلية ، ولكن عبد المطلب كان يسمع هاتفا يهتف فى أذنه ويقول له :

سمه محمداً ، سمه محمداً ، ليكون محموداً فى الأرض والسماء .

فقال عبد المطلب وقد استجاب لهاتف الملائكة : سميته محمداً .

فتعجب الناس من حوله لأنهم لم يكن لهم عهد بهذا الاسم .

ودخلت الفرحة إلى بيت آمنة وتوافدت الملائكة عليها من كل جانب فرحة بميلاد أسعد الخلق وسيد الكائنات ، والنور الذى اصطفاه الله وجعله رحمة للعالمين .

وُلد المصطفى مسروراً [١] مختوناً ، ونزل على الأرض ساجداً ثم رفع بصره إلى السماء .

ويدخل عبد المطلب إلى بيت آمنة ويحمل الطفل المبارك سعيداً تسيل دموعه على لحيته من شدة الفرح وتذكر ابنه عبد الله والد الطفل فاختلطت فيه مشاعر الفرح بولادة حفيده والحزن على فقد ابنه الحبيب ، وتقول آمنة لعبد المطلب : بماذا سميت ابنك ؟ فيقول : محمداً ، ويأمر الجد بأن يحاط محمد بأشد العناية والرعاية ، ثم يحمله إلى الكعبة ويطوف به يعيذه بالله من شر كل حاسد .

رضاعه ﷺ

كان من عادات العرب أن يبعثوا بأطفالهم بعد ولادتهم بقليل إلى الصحراء مع المرضعات ، ليتربى الأطفال فى البادية على السكينة والخشونة، حيث الهواء الطلق والجو الصحى والبيئة النظيفة ، وكانت المرضعة تتقاضى أجراً من والد الطفل مقابل إرضاعه وتربيته .

ولما نزلت المرضعات مكة ، عرضت آمنة ابنها محمد على المرضعات ، فكن يعرضن عنه ليتمه لقلة ما يتوقعن من عطاء ... إلا حليمة السعدية بنت أبى ذؤيب فقد مال قلبها إلى هذا اليتيم وكلمت زوجها فوافقها على ذلك بعد أن كانت مترددة ، وكانت ترجو البركة من وراءه وقد كان وصدق ظنها .

أحوال العالم قبل ميلاد النبى ﷺ

كان العرب رغم ما يتحلون به من صفات طيبة مثل الكرم والمروءة والشهامة والنجدة وخدمة حجاج البيت الحرام وسدانة الكعبة أى القيام على

---

(١) مسروراً : أى مقطوع الحبل السرى ومربوط .

أمرها ، إلا أنهم كانت متفشية (شائعة) فيهم عادات قبيحة ، وخصال مذمومة ، وأشدها قبحاً وأكثرها جرماً الشرك بالله المتمثل فى عبادة الأصنام حيث كانوا ينصبون حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً يسجدون لها ويعفرون وجوههم تحت أقدامها ويقربون لها النذور والقرابين ، وكان الذى أدخل فيهم عمرو بن لحى زعيم قبيلة خزاعة حيث أتى لهم بصنم من الشام يسمونه هبل ، وغيروا فى دين إبراهيم عليه السلام وشرعوا شرائع ما أنزل الله بها من سلطان (أى ما جعل لهم بها حجة) مثل الوصيلة والسائبة والبحيرة والحام من الإبل والغنم كانوا يطلقونها ولا ينتفعون بها بتبريرات ساقطة اخترعوها من عند أنفسهم .

وكان بعضهم يأكل الميتة ، وكانوا يشربون الخمر ويعتدون على الضعفاء بالإغارة وسلب الأموال وسبى النساء والأطفال وكانوا يضربون القداح (السهام فى الأقداح) وكانوا يأتون الكهنة والعرافين وينقادون لأحكامهم ، وكانوا يسيئون معاملة العبيد وكان كثير منهم يئد البنات أحياء أى يدفنوهن فى الرمال تخلصا من الإنفاق عليهن أو خشية العار كما يزعمون .

وكانت الأحوال فى فارس قد أفضت إلى الظلم والاستبداد واستئثار الكبراء بالثروات ، وعبادة الشيطان ، وعبادة النار ، وكذلك كان نظام الطبقات متفشياً فى كل البلاد وكان الشرك عامة فى كل أرجاء العالم حتى أهل الكتاب وقعوا فى الشرك .

وكان الضعفاء المظلمون يتطلعون إلى من يخلصهم من هذه الأوضاع الجائرة .

عودة إلى بدء

بركات محمد ﷺ :

كانت حليمة وزوجها فقيرين وكانت أتانها عجفاء وناقتها شحيحة الدر

وكانت شياههما عجفاء هزيلة قليلة اللبن فلما حملت محمداً إلى ديارها حلت فيها البركة .

أسرعت بها أتانها (أنثى الحمار) وسبقت سائر النساء وامتلأت ضروع مواشيها وناقتها باللبن وامتلأ كذلك ضرعها باللبن ، وسمنت مواشيها ، وفاض الخير عليها وعلى زوجها وأولادها فكان الناس يتعجبون لما جرى لهذه الأسرة الفقيرة من غنى وبحبوحة فى العيش وسعة الرزق ، وكان كل ذلك من بركات المصطفى ﷺ .

وعادت حليمة إلى آمنة تحمل محمداً بعد أن قضى معها سنتى الرضاع وكانت أسعد أيام حياتها وحياة أسرتها .

وما أن رأى عبد المطلب محمداً حتى حمله فى بهجة وسرور وطاف به حول الكعبة .

وما أن رأت آمنة ابنها الحبيب محمداً وقد ترعرع حتى تعلقت به فرحة سعيدة فقد علق به قلبها وكانت تنتظر بفارغ الصبر أن يعود إليها ويتم رضاعة وفطامه ... ولكن حليمة طلبت وألحت على آمنة إبقاء محمد معها فترة أخرى فوافقت بعد تردد ووافق عبد المطلب .

ورجعت حليمة ومعها محمد مرة أخرى إلى مضاربها وما أن رآها وزوجها وأخته الشيماء (من الرضاع) حتى فرحا به وسعدا برجوعه إليهم .

حادثة شق صدره ﷺ

ولما بلغ محمد الرابعة من عمره، وبينما هو يلعب مع الأطفال فى الصحراء ويجرى معهم وكانت معه أخته من الرضاع الشيماء ... رأت منظراً أفزعها ، فجرت مسرعة إلى أمها وقالت لها :

أدركى محمداً .

قالت حليمة : ماذا أصابه ؟ وقبل أن ترد جرت حليمة مسرعة حيث وجدت محمداً واقفاً يعلوه الاصفرار ، ويرتجف خائفاً .

فقالت له : ما بك يا محمد ؟

قال لها : بينما ألعب مع الصبيان إذ تقدم منى رجلان جميلان يلبسان ثياباً بيضاء ... فأخذانى وأضجعانى وشقا صدرى وأخرجا منه شيئا أسود صغيراً ثم غسلا قلبى من طست معهما من ذهب ومسحا صدرى .

وأخذت حليمة الدهشة وأمسكت بمحمد تتحسس جسده وخاصة صدره فلم تجد فيه أثر جرح فأخذت محمداً ورجعت إلى خيمتها وهى حائرة من هذا الأمر وقد أفزعتها هذه القصة ، وخافت عليه أن يصيبه مكروه ، وما أن أشرقت شمس الغد إلا وحملت حليمة محمداً ورجعت به مسرعة إلى جده وأمه بمكة وطلبت منهما أن يأخذا محمداً .

وما كان أشد عجب آمنة ودهشة عبد المطلب ، لماذا ؟ وهى التى كانت حريصة على بقاءه معها لأطول فترة ممكنة وهى التى ألحت عليهما ليسمحا لها بأخذه إلى مضارب أهلها ليشب فى صحة وعافية ، وسألت آمنة حليمة عن سبب هذا التغيير وبعد أن كررت عليها السؤال روت لها ما حدث .

وعاش محمد مع أمه تغذوه بحنانها وعطفها وعبد المطلب يحنو عليه ويحمله معه إلى الكعبة أو يرسل عبداً ليأتى به من عند أمه إلى حيث يجلس مع أبناءه ولاحظ القوم أن عبد المطلب يحب محمداً أكثر مما يحب أولاده ويقربه إليه أشد القرب لتعلق قلبه به .

وفاة السيدة آمنة

والدة النبى ﷺ

رغبت السيدة آمنة بنت وهب فى زيارة أهلها بنى النجار أخوال محمد بالمدينة ، فأخذت معها ابنها محمداً ، وهناك مكثت أياماً فى زيارتهم وأحسنوا لقاءهم وسروا بهما غاية السرور وعطفوا على محمد ابن أختهم اليتيم ، ورحبوا بأختهم الأرملة التى فقدت زوجها بعد شهور من الزواج .

وقضيت الزيارة وأثناء عودتهم فى طريقهم إلى مكة وبينما هى وطفلها محمد فى الطريق عند منطقة الأبواء كانت المحنة والابتلاء العظيم الذى أصاب محمد اليتيم إذ مرضت أمه واشتد بها الألم ثم ماتت ، كان محمد وقت أن توفيت أمه فى السادسة من عمره فجمع له بين وفاة الأب ووفاة الأم . وبكى محمد أمه الحنون التى كان فى أشد الحاجة إليها وإلى عطفها وحنانها .

ولما علم عبد المطلب جد النبى ﷺ بالخبر حزن كثيراً واشتد عطفه ورعايته لمحمد وتألم أشد الألم لما أصابه وهو ما زال طفلا صغيراً .

كان عبد المطلب سيد قريش له الكلمة المسموعة ، محبوباً ، بالغ الهيبة، وله كثير من المنزلة فى القلوب ، صاحب مآثر وفضائل كثيرة على العرب ، وكان سادة قريش يجلسون حول عبد المطلب عند الكعبة فى وقت فراغهم وكان يقرب محمداً ويجلسه معه وحوله أبناؤه وأصدقاؤه، هذا وقد أحب الناس محمداً من أعماق قلوبهم لما رأوا من حب عبد المطلب له بحب أودعه الله تعالى فى قلوب الناس لمحمد ، ولما كبر ومرت الأيام بدأت تظهر خصاله الطيبة وأخلاقه الحميدة حيث عرف بالصادق الأمين .

فى كفالة عمه عبد المطلب

ثم كان الابتلاء الثالث ... فما كاد محمد يصل إلى سن الثامنة من عمره إذ به يفقد جده الحنون الذى كان يكفله .

وكان عبد المطلب قد أوصى ابنه أبا طالب برعاية محمد من بعده وتقدم أبو طالب يعلن كفالته لمحمد وضمه مع أولاده الكثيرين ورغم أنه كان غير ميسور الحال ... وبدخول محمد إلى بيت عمه حلت فيه البركة والسعادة .

ووجد محمد فى بيت عمه السعادة والرعاية الكاملة فتعلق قلبه بعمه وأصبح ملازماً له ، وكان الناس يعلمون حب أبى طالب لابن أخيه ويقدرون فى محمد صدقه وأمانته ومكارم أخلاقه التى تتجلى مع الأيام .

سفره مع عمه إلى الشام

كانت قريش تقوم برحلتين فى كل عام رحلة فى الصيف إلى الشام ورحلة فى الشتاء إلى اليمن ... بالاضافة إلى الرحلات التجارية إلى الحبشة .

وكان أبو طالب يخرج على رأس القوافل التجارية لقريش ، ولما رأى محمد عمه يستعد لرحلة الصيف إلى الشام طلب منه أن يرافقه فى رحلته فاستجاب له واصطحبه معه .

واتجهت القافلة قاصدة دمشق عاصمة سوريا الآن تقطع الصحراء ليلاً ونهاراً ... وكان لهم محطة للراحة فى مدينة بُصرى كما هى عادة القبائل.

وبصرى مدينة تابعة لأرض حوران وكان فى المدينة صومعه لراهب عالم اسمه بحيرى .

الراهب يستضيف القافلة

نظر الراهب بحيرى من نافذة فى الصومعة على طريق القوافل فرأى غمامة تظلل صبياً فى الركب تسير فوقه حيث سار ، فتعجب الراهب من ذلك ، فلما وصلت القافلة دعاهم الراهب لتناول الطعام معه ... ونظر الراهب إليهم فلم يجد فيهم محمداً وسألهم هل تركتم من أحد ، فقالوا تركنا صبياً صغيراً عند متاعنا فقال لهم : ادعوه فإنى لم أصنع لكم الطعام إلا من أجله .

ولما دخل محمد أخذ الراهب يتفحصه ... ثم وضع يده بين كتفيه لينظر إلى خاتم النبوة فوجده بين كتفى محمد ... فسأل أبا طالب من هذا الغلام منك (أى قرابته منك) قال : هو ابنى ، قال : ما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً قال : إنه ابن أخى . قال : ارجع به واحذر عليه من اليهود .

الأمين يعمل فى رعى الأغنام والتجارة

كانت الأيام تمر والرسول ﷺ فى كفالة عمه ، وكان عمه أبو طالب كثير العيال ، فقرر محمد ﷺ أن يعمل فى رعى الأغنام ليتكسب عيشه ويخفف العبء عن عمه ، فكان يرعى الغنم لبعض الناس فى قبيلته بالأجر واستمر على ذلك مدة طويلة من الزمان حتى بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة ، وسمعت به خديجة بنت خويلد وبأمانته وصدقه وكريم خلقه ، وكانت تستأجر الرجال ليتاجروا فى مالها فى رحلات الشتاء والصيف ، فأرسلت إلى محمد تعرض عليه الأمر ، وأثنى عليه غلامها ميسرة حيث كان يعرفه ﷺ .

خرج محمد ﷺ بتجارة لخديجة إلى الشام ، وهناك قابله الراهب بحيرى فى بصرى للمرة الثانية وحادثه حديثاً طويلاً.

وكان محمد ﷺ لا يساوم مساومات التجار ، يتميز بالوضوح والصدق ، كان لا يكذب ولا يغش ولا يدلس ، وربحت تجارته أرباحاً عظيمة وعاد ميسرة يقص على خديجة بنت خويلد الشريفة القرشية عن أخلاق محمد ﷺ وتظليل الغمامة له وعن حسن أخلاقه وأمانته فى التجارة.

١- خديجة بنت خويلد

خير نساء العالمين

وهى أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين فى زمانها، أم القاسم ابنة خويلد بن أسد، القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله ﷺ . وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد.

قال الإمام الذهبى : ومناقبها جَمَّة، وهى ممن كمل من النساء. كانت عاقلة جليلة دينة، مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبى ﷺ يثنى عليها، ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين.

ومن كرامتها عليه ﷺ أنه لم يتزوج إمرأة معها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط .... فكانت نعم القرين وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو ﷺ لها.

فضائلها :

١- عن على بن أبى طالب، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خيرُ نسائها خديجة بنتُ خويلد، وخير نسائها مريمُ بنتُ عمران» .

٢- وعن أنس ، أن النبى ﷺ قال : « حسبك من نساء العالمين مريمُ بنتُ عمران، وخديجة بنتُ خويلد، وفاطمة بنت محمدٍ، وآسية امرأة فرعون».

٣- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

أتى جبريل النبى ﷺ فقال : هذه خديجة أتتك معها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

الزواج المبارك :

كان السادات والرؤساء فى مكة يحرصون على الزواج من خديجة، فتأبى ذلك عليهم، وتردهم جميعاً، ولكنها وجدت ما تنشده وما تبغيه فى سيدنا محمد ﷺ ، وهنا أفضت عما يدور فى نفسها إلى صديقتها «نفيسة بنت منية».

فذهبت نفيسة إلى النبى الكريم ﷺ وكلمته أن يتزوج الطاهرة خديجة، وقالت : يا محمد ما يمنعك أن تزوج ؟

فقال : « ما بيدى ما أتزوج به».

قالت : فإن كُفيت ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تُجيب؟

قال : « فمن هى »؟

قالت : خديجة.

قال : « وكيف لى بذلك »؟

قالت : علىَّ.قال : « فأنا أفعل».

ورجعت نفيسة إلى الطاهرة خديجة تحمل خبر نجاحها فى مهمتها، وزفت إليها نبأ موافقة محمد ﷺ بالزواج، فأرسلت الطاهرة خديجة إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها، فحضر، وجاء رسول الله إلى بيت خديجة فى آل عبد المطلب، وقام أبو طالب خطيبا، وألقى خطبة رائعة، فكان مما قال :

«الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، ... وجعلنا حضنة بيته وسُواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجًا، وحرمًا آمنًا، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يُوزن به رجل من قريش شرفاً ونبلاً وفضلاً إلا رجح به، ... ومحمد من عرفتم قرابته ... وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق - المهر- فعلىَّ».

وافق عمها عمرو بن أسد وكان شيخًا كبيرًا فقال : هو الفحلُ لا يُقدحُ أنفه».

موقف كريم :

عن عائشة، رضى الله عنها، قالت :

أول ما بُدئ به رسول الله من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه، وهو التعبد، الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله يتزود لذلك، ثم رجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء، فجاء الملك فقال : « اقرأ» قال : « ما أنا بقارئ» ، قال : « فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال : اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال : اقرأ، قلت : ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقل:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢)

أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق].

فرجع رسول الله ترجف بوادره ! حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زملونى. زملونى» فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة: «أى خديجة، مالى؟» وأخبرها الخبر: ثم قال : « لقد خشيت على نفسى».

قالت له : كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة، وكان امرءًا تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمى، فقالت له خديجة : أى ابن عم : اسمع من ابن أخيك ! فقال له ورقة : يا ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة له : هذا الناموس(١) الذى نزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعًا(٢)، ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجى هم ؟.

قال : نعم ! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودى وإن يدركنى يومك حيا أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن تُوفى وفتر الوحى.

ألا ما أجل هذا الفضل المقبل، وما أعظم ما يواجه محمدًا فيه من شئون وشجون !.

---

(١) الوحى .
(٢) شاباً.

وكان موقف زوجه خديجة رضى الله عنها منه من أشرف المواقف التى تحمد لامرأة فى الأولين والآخرين. طمأنته حين قلق، وأراحته حين جهد، وذكرته بما فيه من فضائل، مؤكدة له أن الأبرار أمثاله لا يخذلون أبدًا وإن الله إذ طبع رجلاً على المكارم الجزلة والمناقب السمحة فلكيما يجعله أهل إعزازه وإحسانه، وبهذا الرأى الراجح والقلب الصالح استحقت السيدة خديجة أن يحييها رب العالمين فيرسل إليها بالسلام مع الروح الأمين.

الصابرة :

ضربت أم المؤمنين خديجة فى الصبر مثل رائعًا.. وفازت بالنجاح من جراء صبرها فى الخطوات الأولى لسير الرسالة النبوية.

فكان النبى ﷺ لا يسمع شيئًا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها وحالها كما قال القائل :

وهى لا تنثنى عن الحق صبراً ودفاعـاً عن خـاتـم الأنبــياء

وعندما صدع النبى ﷺ بالدعوة وجهر بها، قاطعت قريش، بنى هاشم «واشتدت الأزمات، وتفاقمت الأحدث، واستشرى الأمر بين رسالة رسول الله، وبين الطغيان الوثنى المتمثل بصناديد قريش، فاضطربت عقولهم فى رؤوسهم الخاوية إلا من البغى والظلم واستعباد الضعفاء، ورجفت قلوبهم الفارغة إلا من الفساد والتعبد للأصنام، غير أن المسلمين صبروا صبر الكرام.

وظلت أمنا خديجة من وراء رسول الله تشد أزره، وتشاركه فى حمل الأذى من قومه بنفس راضية صابرة محتسبة، حتى قضى الله تعالى قضاءه فى هذه المقاطعة الظالمة المريرة التى مكثت سيفًا مصلتًا على أعناق المحاصرين المؤمنين.

انتهى الحصار، وخرجت الطاهرة من الحصار ظافرة بثمرة صبرها لتتابع مع رسول الله ﷺ سيرها فى الحياة زوجة أمينة.

البرة الو صولة :

قضت السيدة خديجة فى كنف رسول الله ﷺ مرحلة تقارب ربع قرن من الزمن، فكانت فى حياتها معه أوفى وأبر زوجة لزوجها، كانت تشاركه مباهجه ومسراته، وتتطلع إلى رضاه وسعادته، وتبر من يحبهم ... وقد ظهر من كرمها لما أصابت الناس سنة جدب بعد زواجها من الرسول الله ﷺ .. جاءت السيدة حليمة السعدية، مرضعته ﷺ ، زائرة، فعادت من عنده، ومعها من مال خديجة بعير، يحمل الماء وأربعون رأسًا من الغنم .

وداعا :

عندما خرجت السيدة خديجة من الحصار الظالم، لم تلبث إلا قليلا حتى لبت نداء ربها .. وصعدت روحها الطاهرة إلى السماء راضية مرضية.

قال عروة : ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

ودفنت رضى الله عنها «بالحجون».

ولله در القائل :

ولو كان النساء كمن فقدنـا   لفُضلت النساء على الرجالِ

رثاء ووفاء :

ترك موتها رضى الله عنها أثرًا فى نفس رسول الله ﷺ .. وكانت دائمًا فى ذاكرته، واسمها على لسانه، يحب من أحبها، ويكرم من أكرمها .

تقول السيدة عائشة : ذكر رسول الله ﷺ خديجة، فتناولتها، فقلت :

عجوز ! كذ وكذا، قد أبدلك الله بها خيرًا منها.

قال : «ما أبدلنى الله خيرًا منها، لقد آمنت بى حين كفر الناس، وأشركتنى فى مالها حين حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها، وحرمنى ولد غيرها» قلت : والله لا أعاتبك فيها بعد اليوم.

وجاءت عجوز من صويحبات خديجة إلى النبى ﷺ بعد موتها، فأحسن النبى ﷺ لقائها، وأكرم مثواها، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، وصار يسأل عن أحوالها وما صارت إليه، فقالت عائشة لما خرجت : تُقبلُ على هذه العجوز هذا الإقبال فقال : «إنها كانت تأتينا أيام زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان».

وفى صحيح مسلم عن عائشة، رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان إذا ذبح الشاة، قال : « أرسلوها إلى أصدقاء خديجة» فذكرت له يومًا فقال : « إنى لأحب حبيبها ».

أرأيتم وفاءً يدانى هذا الوفاء.. ما أجمل الحياة فى ظل الإسلام، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٢- عائشة أم المؤمنين[١]

المبرأة من فوق سبع سماوات

بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة، القرشية.. أم المؤمنين، زوجة النبى ﷺ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

وأمها هى أم رُومان بنت عامر بن عويمر..

(١) رجال ونساء حول الرسول ﷺ - سعد يوسف أبو عزيز - دار الفجر للتراث .

هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبى الله قبل مُهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، وقيل : بعامين.

ودخل بها فى شوال سنة اثنتين، مُنصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر، وهى ابنة تسع.

فروت عنه علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

صورتها تنزل من السماء :

عن عائشة، قالت : قال رسول الله ﷺ : « أريتك فى المنام ثلاث ليال، جاء بك الملك فى سرقة من حرير، فيقول : هذه امرأتك، فاكشف عن وجهك فإذا أنت فيه، فأقول : إن يك هذا من عند الله يُمْضه».

وفى رواية : عن عائشة : أن جبريل جاء بصورتها فى خرقة حرير خضراء إلى النبى ﷺ فقال : « هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة ».

فضائلها :

١- عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

٢- وعن عبد الله بن زياد الأسدى، قال : لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث على عمار بن ياسر وحسن بن علىّ فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علىّ فوق المنبر فى أعلاه، وقام عمارًا أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عمارًا يقول : والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هى ؟.

٣- وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه، قل : بعثنى رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل قال : فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك؟ قال : «عائشة»، قلت : من الرجال ؟ قال : «أبوها»، قلت : ثم من ؟ فعد رجالاً فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم.

- وعن عائشة رضى الله عنها، قالت : كان رسول الله ﷺ يسأل فى مرضه الذى مات فيه، يقول : « أين أنا غدًا أين أنا غدًا؟» يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها.

فقالت : عائشة : فمات فى اليوم الذى كان يدور علىَّ فيه فى بيتى فقبضه الله وإن رأسه لبين نحرى وسحرى وخالط ريقه ريقى.

وإذا تتبعنا فضلها رضى الله عنها .. ضاق المقام .. وفيما تقدم الكفاية .. ولقد أجملت هى رضى الله عنها ما تميزت به عن النساء، فقالت : « لقد أعطيتُ تسعًا ما أُعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران : لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجنى. ولقد تزوجنى بكرًا، وما تزوج بكرًا غيرى، ولقد قبض ورأسه فى حجرى، ولقد قبرتُه فى بيتى، ولقد حفت الملائكة بيتى، وإنى لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عُذرى من السماء، ولقد خُلقت طيبة عند طيب، ولقد وُعدت مغُفرة ورزقًا كريمًا.

زواجها بالمصطفى ﷺ :

عن عائشة، قالت : تزوجنى رسول الله ﷺ مُتوفى خديجة، وأنا ابنةُ ست، وأدخلتُ عليه وأنا ابنة تسع، جاءنى نسوة وأنا ألعبُ على أُرجوحة مجممة، فهيأننى وصنعننى، ثم أتين بى إليه ﷺ .

قال عروة : فمكثت عنده تسع سنين.

الزواج الرحيم :

الناظر إلى حال النبى ﷺ فى بيته، ومع زوجاته .. يتعلم رحمة الإسلام، وبساطته، وأخلاقه الحسنى.

أقــرأ :

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة، قالت : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفى سهوتها ستر، فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب، فقال : « ما هذا يا عائشة» ؟ قالت : بناتى، ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع. فقال : «ما هذا الذى أرى وسطهن»؟ قالت : فرس. قال : « وما هذا الذى عليه»؟ قالت : جناحان. قال : «فرس له جناحان !» قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قال : فضحك حتى رأيتُ نواجذه .

وعن عائشة، رضى الله عنها، قالت : لقد رأيت رسول الله ﷺ يقومُ على باب حُجرتى – والحبشة يلعبون بالحراب فى المسجد، وإنه ليسترُنى بردائه لكى أنظُر إلى لعبهم، ثم يقفُ من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرفُ، فاقدرُوا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

أرأيتم الأخلاق النبوية كيف كانت تتعامل مع الزوجة؟! ﴿إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ .

ولم تظفر عائشة رضى الله عنها، بهذا الحنان وحدها بل شاركتها كل أزواج النبى ﷺ ولئن تفردت ببعض الشىء فلأجل عمرها كما أوضحت هى رضى الله عنها.

حديث الإفك :

وفى الحروب الفاجرة تستخدم جميع الوسائل التى تصيب العدو، وإن كان بعضها يستحى من استخدامه الرجل الشريف !.

وقد لجأ المنافقون فى المدينة إلى مناوأة النبى ﷺ ودعوته بأسلوب تظهر فيه خسة النفس الإنسانية عندما يستبد بها الحقد، ويغلب عليها الضعف، أسلوب اللمز والتعريض حينًا، والإفك والإفتراء حينًا آخر.

وكلما توطدت سلطة المسلمين ورسخت مكانتهم إزداد خصومُهم المنافقون ضغناً عليهم وتربصًا بهم.

وظهر ذلك جليًا فى غزوة «بنى المصطلق» فإن الأنباء أتت الرسول ﷺ بأن هذه القبيلة تجمع له وتستعد لقتاله وأن سيدها الحارث بن أبى ضرار قد استكمل عدته لهذا المسير فسارع رسول الله ﷺ بالمسلمين ليطفئ الفتنة قبل اندلاعها.

وخرج مع الرسول هذه المرة جمع من المنافقين لم يعتادوا الخروج قبلا.

ولعل ثقتهم بانتصار محمد ﷺ أغرتهم بالذهاب معه، ابتغاءً لدنيا لا انتصاراً لدين.

وانتهى المسلمون إلى ماء يسمى «المريسع» اجتمع لديه بنو المصطلق، فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يعرض الإسلام على القوم.

فنادى عمر فيهم : قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ! فأبوا وترامى الفريقان بالنبل.

ثم أمر النبى ﷺ صحابته فحملوا عليهم حملة رجل واحد، فلم يفلت من المشركين أحد، إذا وقعوا جميعًا أسرى بعدما قتل منهم عشرة أشخاص ولم يستشهد من المسلمين إلا رجل واحد قتل خطأ، وسقطت القبيلة، بما تملك، فى أيدى المسلمين، على أن هذا النصر الميسر شابه من أعمال المنافقين ما عكر صفوه، وأنسى المسلمين حلاوته».

ومن هذه الأعمال الشائنة ما قالوه عن عائشة، وصفوان بن المعطل، فعند «عودة الرسول ﷺ من غزوة بنى المصطلق إلى المدينة، نبت حديث الإفك وشاع، واجتهد خصوم الله ورسوله أن ينقلوا شرره فى كل مكان قاصدين أن يدمروا الرسول فى بيته، وأن يسقطوا مكانة أقرب الرجال لديه.

وللوصول إلى هذه لغاية، استباح ابن أُبى لنفسه أن يرمى بالفحشاء سيدة لم تجاوز مرحلة الطفولة البريئة، لا تعرف الشر، ولا تهم بمنكر، ولا تحسن الحياة إلا فى فلك النبوة العالى.

واختفى ابن أُبى كالعقرب الخائنة، ثم شرع يلسع الغافلين .. قبع هذا المنافق فى جنح الظلام، وبدأ ينفث الشائعات المريبة.

وإليك سرداً لهذا الحديث المفتعل على لسان السيدة عائشة نفسها :

زوابع المنافقين :

قالت السيدة عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرجت معه، فلما كانت غزوة «بنى المصطلق» خرج سهمى عليهن، فارتحلت معه.

قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق، لم يهيجن اللحم فيثقلن، وكنت إذا رُحل بعيرى جلست فى هودجى، ثم يأتى القوم فيحملوننى، يأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه، ثم يضعونه على ظهر البعير ويشدونه بالحبال وبعدئذ ينطلقون.

قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذاك توجه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا فبات فيه بعض الليل، ثم أذن مؤذن فى الناس بالرحيل، فتهيئوا لذلك وخرجت لبعض حاجتى، وفى عنقى عقد لى، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى، ورجعت إلى الرحل فالتمست عقدى فلم أجده ! وقد

أخذ الناس فى الرحيل، فعدت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته.

وجاء القوم الذين كانوا يرحلون لى البعير، وقد كانوا فرغوا من إعداده، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير، ولم يشكوا أنى به، ثم أخذوا برأس البعير وانطلقوا!!. ورجعت إلي المعسكر وما فيه دا ع ولا مجيب، لقد انطلق الناس !.

قالت : فتلففت بجلبابى ثم أضجعت فى مكانى وعرفتُ أنى لو افتقدت لرجع الناس إلىّ فوالله إنى لمضجعة، إذ مر بى «صفوان بن المعطل السلمى» وكان قد تخلف لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف علىّ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآنى قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون» ظعينة رسول الله ؟ وأنا متلففة فى ثيابى، ما خلفك يرحمك الله. قالت : فما كلمته، ثم قرب إلى البعير، فقال : اركبى، واستأخر عنى.

قالت : فركبت وأخذ برأس البعير منطلقا يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزلوا، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى البعير، فقال أهل الإفك ما قالوا. وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشىء من ذلك.

ثم قدمت المدينة فلم ألبث أن اشتكيت[1] شكوى شديدة، وليس يبلغنى من ذلك شىء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله وإلى أبوى، وهم لا يذكرون لى منه كثيراً ولا قليلاً.

إلا أنى قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بى فى شكواى هذه، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل علىَّ وعندى أمى تُمرضنى قال : « كيف تيكم؟» لا يزيد على ذلك. قالت : حتى وجدت فى نفسى، غضبت، فقلت : يا رسول الله ،

(١) وضت.

حين رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى؟ قال : «لا عليك ».

قالت : فانقلبتُ إلى أمى ولا علم لى بشىء مما كان، حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قومًا عربًا، لا نتخذ فى بيوتنا الكنف التى تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرها، إنما كنا نخرج فى فسح المدينة، وكانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن.

فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أُم مسطح، فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها، فقالت : تعس مسطح؟ فقلت : بئس ، لعمر الله، ما قلت لرجل من المهاجرين شهد بدرا !! قالت : أو - ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر؟ قلت : وما الخبر؟ فأخبرتنى بالذى كان من أهل الإفك . قلت : أو - قد كان هذا ؟! قالت : نعم ، والله لقد كان.

قالت عائشة : فوالله ما قدرت علي أن أقضى حاجتى، ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى، وقلت لأمى : يغفر الله لك، يحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ؟ قالت : أى بنية، خففى عنك فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها، ولا ضرائر، إلا أكثرن وكثر الناس عليها.

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم، ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ؟ والله ما علمت عليهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيرًا ولا يدخل بيتًا من بيوتى إلا وهو معى !».

قالت : وكان كبر ذلك عند «عبد الله بن أُبى» فى رجال من الخزرج. مع الذى قال «مسطح» و«حمنة بنت جحش» وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن امرأة من نسائه تناصبنى فى المنزلة عنده غيرها،

فأما زينب عصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرًا وأما «حمنة» فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني بأختها. فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حضير: يا رسول الله، إن يكونوا من «الأوس» نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا «الخزرج» فمرنا أمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم، فقام سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحًا، قال : كذبت لعمرالله، ما تُضرب أعناقهم، إنك ما قلت هذه المقالة إلا وقد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا.

فقال أسيد : كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين، وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين شر، ونزل رسول الله ﷺ، فدخل عليَّ ودعا «على بن أبى طالب» و«أسامة بن زيد» فاستشارهما فأما «أسامة» فأثنى خيرًا، ثم قال : يا رسول الله، أهلك، وما نعلم منهم إلا خيرًا، وهذا الكذب والباطل!.

وأما «عليٌّ» فقال : يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية فإنها تصدقك.

فدعا رسول الله ﷺ «بريرة» يسألها، وقام إليها عليّ فضربها ضربًا شديدًا وهو يقول : أصدقى رسول الله ، فتقول : والله ما أعلم إلا خيرًا وما كنت أعيب على عائشة، إلا أنى كنت أعجن عجينى، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله !.

قالت : ثم دخل عليَّ رسول الله وعندي أبواى، وعندى امرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى، فجلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : « يا عائشة، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتقى الله، وإن كنت قد قارفت سوءًا مما يقول الناس، فتوبى إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده».

قالت : فوالله، إن هو إلا أن قال لى ذلك حتى قلص دمعى، فما أحس منه شيئًا، وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى فلم يتكلما !.

قالت عائشة : وأيم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شأنا من أن يُنزل الله فىَّ قرآناً، لكنى كنت أرجو أن يرى النبى عليه الصلاة والسلام، فى نومه شيئًا يُكذبُ الله به عنى، لما يعلم من براءتى، أما قرآنًا ينزل فىَّ، فوالله، لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك.

قالت : فلما لم أر أبواى يتكلمان !! قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله، فقالا : والله لا ندرى بم نجيبه، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام.

ثم قالت : فلما استعجما علىَّ استعبرت فبكيت، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا، والله إنى لأعلم لئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى.

قلت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره، فقلت : أقول ما قال أبو يوسف:

﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴾ [يوسف].

فوالله ما برح رسول الله مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجى بثوبه ووضعت وسادة تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت وما باليت، وقد عرفت أنى بريئة وأن الله غير ظالمى، وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سُرِىَ عن رسول الله حتى ظننتُ لتخرجن أنفسهما فرقًا أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس، ثم سُرى عن رسول الله فجلس، وإنه لينحدر من وجهه مثل الجُمان فى يوم شات، فجعل يمسح لعرق عن وجهه

ويقول : « أبشرى يا عائشة، قد أنزل الله عز وجل براءتك».

فقلت : الحمد لله، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم الآيات :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) ﴾ [النور].

والغريب أن الحدَّ أقيم على من ثبتت عليهم تهمة القذف .. أما عبد الله بن أبى مدبر الحملة وجرثومتها الخفية، فإنه كان أحذر من أن يقع تحت طائلة العقاب، لقد أوقع غيره ثم أفلت بنفسه.

علمها رضى الله عنها :

عن عروة بن الزبير، رضى الله عنه، قال : «لقد صحبت عائشة – وكانت خالته– فما رأيت أحدًا كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسُنّة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب، منها. فقلت لها : يا خالة ، الطبُّ، من أين علمته ؟ فقالت : كنت أمرض فينعت لى الشىء، ويمرض المريضُ فينعتُ له، وأسمع الناس ينعتُ بعضُهم لبعض،فأحفظه».

جودها :

عن أم ذرة ، قالت : بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال فى غرارتين(١)، يكون مائة ألف، فدعت بطبق، فجعلت تقسم فى الناس، فلما أمست، قالت : هاتى يا جارية فطورى : فقالت أم ذرة، يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشترى

---

(١) الغرار : الكيس .

لنا لحماً بدرهم؟ قالت : لا تعنفينى، لو أذكرتينى لفعلت».

وعن عروة، عن عائشة : أنها تصدقت بسبعين ألفًا، وإنها لترقع جانب درعها رضى الله عنها.

وفاتها رضى الله عنها :

لما حضرتها الوفاة رضى الله عنها قالت ، وكانت تحدث نفسها أن تدفن فى بيتها، فقالت : « إنى أحدثتُ بعد رسول الله ﷺ حدثا، ادفنونى مع أزواجه» فدفنت بالبقيع رضى الله عنها.

قال الإمام الذهبى : قلت : « وتعنى بالحدث : مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت ندامة كلية، وتابت من ذلك : على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار، رضى الله عن الجميع ».

وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه.

---

(٢) الدرع : القميص .

٣ - سودة بنت زمعة

ولكنى أحب أن أبعث فى نسائك

من هى ؟

إنها أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية.

وهى أول من تزوج بها النبى ﷺ بعد خديجة.

وكانت سيدة جليلة نبيلة. وكانت أولاً عند السكران بن عمرو وهاجرت معه إلى الحبشة، فأغضبت أهلها بهذه الهجرة.

ولما عادت من هجرتها، تُوفى زوجها إلى رحمة الله وكان من أنصار الرسول الأبرار.

ولما توفى خلف زوجته «سودة» من غير ناصر، ولا عائل .. فتزوجها النبى ﷺ ، وكانت فى «الخامسة والخمسين من عمرها.

ماذا تريد ؟

مرت الأيام .. وسودة ترافق النبى ﷺ .. وبدا له ﷺ أن يطلقها... فماذا حدث؟

يقول القاسم بن أبى بزة :أن النبى ﷺ بعث إلى سودة بطلاقها . فجلست على طريقه، فقالت:أنشدك بالذى أنزل عليك كتابه،لم طلقتنى؟ الموجدة ؟

قال : «لا»

قالت : فأنشدك الله لما راجعتنى، فلا حاجة لى فى الرجال، ولكنى أحب أن أبعث فى نسائك فراجعها .

قالت : فإنى قد جعلتُ يومى لعائشة.

نعم يا أم المؤمنين... وهل هناك شرف يدانى هذا الشرف.. أن تحشرى يوم القيامة وأنت زوجة لخاتم النبيين هنيئًا لك.

وكانت السيدة عائشة لا تنسى لها هذا الصنيع.

فعن عائشة، قالت : «ما رأيت امرأة أحب إلىّ أن أكون فى مِسْلاخها من سودة، من امرأة، فيها حدة، فلما كبرت جعلت يومها من النبى ﷺ لعائشة.

وتوفيت رضى الله عنها فى زمن عمر بن الخطاب.

٤- حفصة أم المؤمنين

زوجة النبى ﷺ فى الجنة(١)

يا تُرى من هذه التى نعطر بذكرها هذه الصفحات ؟

إنها السترُ الرفيع، بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

تزوجها النبى ﷺ بعد انقضاء عدتها من خُنيس بن حذافة السهمى، أحد المهاجرين، فى سنة ثلاث من الهجرة.

قالت عائشة : هى التى كانت تُساميني من أزواج النبى ﷺ

ورُوِى أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين، فعلى هذا يكون دخول النبى ﷺ بها ولها نحو من عشرين سنة.

وكانت لما تأيمت، عرضها أبوها على أبى بكر، فلم يُجبه بشىء، وعرضها على عثمان، فقال : بدا لى ألا أتزوج اليوم، فوجد عليهما، وانكسر، وشكا حاله إلى النبى ﷺ ، فقال : « تتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة» ثم خطبها، فزوجه عُمر.

وزوج رسول الله عثمان بابنته رُقية بعد وفاة أختها.

ولما أن زوجها عُمرُ، لقيه أبو بكر، فاعتذر، وقال : «لا تجدُ على ، فإن رسول الله ﷺ، كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشى سره، ولو تركها، لتزوجتها ».

وثبت أن النبى ﷺ طلق حفصة تطليقة، ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك، وقال : « إنها صوامة، قوامة، وهى زوجتك فى الجنة ».

---

(١) نساء أهل البيت ـ منصور عبد الحكيم ـ مطبعة التوفيقية .

الأدب الإسلامى الرفيع :

التربية الإسلام ذات أهمية لإقامة المجتمعات الفاضلة، والبيوت الربانية التى ترتكز على الاحترام المتبادل بين الزوجين، وتعليم البنت فى بيت أبيها كيف تحترم زوجها وتوقره من أهم عوامل العمار فى البيت الإسلامى، فيقف شامخاً أمام عوادى الزمن.

وكذلك تثقيف الشباب بأهمية صيانة حق الزوجة من أهم الأسس التى يبنى عليها البيت المسلم، ولا ينقطع دور الوالدين بزواج البنت، ولكن لابد من التذكير بين الحين والحين بحقوق الزوج، والصبر معه فى السراء والضراء.. ولا يؤسس بيت على غير هذه المبادئ إلا كان عاقبة أمره خُسرًا.

وإليكم هذه الرواية :

عن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قال : « كنا معشر قريش نغلبُ النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساوهم، فطفق نساونا يتعلمن من نسائهم، فغضبت على امرأتى يومًا، فإذا هى تراجعنى فأنكرتُ أن تراجعنى، فقالت : ما تنكر من ذلك؟ فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل !.

قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت : أتراجعين رسول الله ﷺ قالت: نعم، قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل ؟ قالت : نعم، قلت : قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله لغضب رسوله فإذا هى قد هلكت ؟ لا تراجعى رسول الله ﷺ، وتسأليه شيئًا، وسلينى ما بدا لك، ولا يغرنك إن كانت جارتك أوسم - أجمل - وأحب إلى رسول الله ﷺ منك، يريد عائشة، رضى الله عنها».

وهكذا كان عمر رضى الله عنه، نعم الأب الناصح لابنته.

فأين هذه التربية من تربية هذا الزمان !! إلى الله المشتكى.

الشموخ عند المصائب :

لما طعن أبوها عمر بن الخطاب رضى الله عنه، تقدمت السيدة حفصة منه، نظرت إليه ، وقالت بلسان اليقين، ومنطق الحق المبين : «يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم ولا تبعة لأحد عندك، ومعى لك بشارة لا أذيع السر مرتين، ونعم الشفيع لك العدل، لم تخف على الله عز وجل خشنة عيشتك، وعفاف نهمتك، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين».

وفى سنة إحدى وأربعين «عام الجماعة» وفى خلافة معاوية.. لبت نداء ربها راضية مرضية، وصلي عليها وإلى المدينة «مروان»، ودفنت بالبقيع، ونام جسدها الطاهر، فى البقعة المباركة، فهنيئا لك أم المؤمنين، وسلام عليك يوم أسلمت، ويوم هاجرت، ويوم مت ويوم يقوم الناس لرب العالمين.

٥- زينب بنت خزيمة

ر ضى الله عنها

نتحدث عن خامس الأمهات للمؤمننين .. أم المساكين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف الهلالية.

كانت زوجة عبد الله بن جحش الذى استشهد فى غزوة أحد، وتزوجها النبى ﷺ عقب زواجه بحفصة بنت عمر بوقت قصير.

وقد قيل أنها كانت زوجة الطفيل بن الحارث أو غيره وذكر ذلك صاحب السيرة النبوية ... قال ابن حجر فى كتاب الاصابة أنها زوجه الشهيد عبد الله بن جحش.

ولعلنا نجد فى مسيرة هذه السيدة الفاضلة القليل من الأخبار لأنها لم تعش فى بيت النبوة بعد زواجها من رسول الله ﷺ سوى شهور قليلة لا تزيد عن ثمانية شهور ثم ماتت وقيل أن رسول الله ﷺ تزوجها بدافع الشفقة. ورغم اختلاف المؤرخين حول السيدة زينب بنت خزيمة فيمن تزوجها قبل النبى ﷺ وهذا لا يهمنا كثيراً.. فإن المؤرخين وكتاب السيرة النبوية أجمعوا على أنها كانت ذات قلب طيب، وكريمة العطاء وكثيرة العطف على الفقراء، ولقبوها بأم المسكين لذلك.

وقالوا : كان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تعطيهم وتتصدق عليهم.

وماتت على الأرجح وعمرها ثلاثون عامًا بعد زواجها بالنبى ﷺ بأشهر قليلة لا تتجاوز ثمانينة أشهر تقريبًا.. وقد نالت شرف زواجها بالنبى ﷺ فى الدنيا والآخرة، وحظيت بلقب أم المؤمنين .. صلى عليها النبى ﷺ وكانت أول أمهات المؤمنين اللائى دفن فى البقيع بالمدينة المنورة رضى الله عنها وعنهن أجمعين.

٦ - أم سلمة هند بنت أمية

ر ضى الله عنها

نعيش سويًا حياة وسيرة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ذات النسب العريق فى قومها من المؤمنين الأوائل هى وزوجها الأول أبو سلمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الصحابى الجليل الذى هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

أبوها أحد رجال قريش الجوادين المشهورين بالعطاء أنه أمية بن المغيره بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى. لقب بلقب «زاد الراكب» لأنه كان لا يسافر ومعه أحد إلا كفاه من زاده. وزوج أم سلمة الأول كان ابن عمة رسول الله ﷺ شهد غزوة بدر وأحد ومات متأثراً بجراح إصابته فى غزوة أحد.

وتروى كتب السيرة إنها خرجت مع زوجها إلى المدينة المنورة ومعهما ابنهما سلمة، وشاهدها أهلها فتقدموا إليها وهى راكبة بعيرها، وقادوا بعيرها إلى مكة مرة أخرى وغضب أهل زوجها وأخذوا ابنها سلمة منها وتنازعوا فيما بينهما هذا يريد أن يأخذ الطفل وهذا يريـد أخذه، خلعوا يده وانطلق به أهل أبيه .. وأخذوها بنوا المغيرة أهلها عندهم ..

ومضى زوجها أبو سلمة فى طريق الهجرة إلى المدينة مهاجراً فى سبيل الله وظلت هى بعيدة عن ولدها وزوجها مايقرب من العام تبكى . حتى رق لها ابن عمها وطلب من أهلها أن يتركوها تلحق بزوجها ورد أهل زوجه ابنها سلمة إليها وخرجت بمفردها فى طريق الهجرة إلى المدينة المنورة، حتى كانت بالقرب من الحدود فى منطقة تسمى التنعيم قرب مكة، لقيت الصحابى عثمان بن طلحة ولم يكن وقتها قد أسلم، فأمسك بعيرها واصطحبها حتى أوصلها إلى المدينة

المنورة سالمة. قرب قباء على مشارف المدينة وقال لها أن زوجها، فى هذه القرية فأدخليها، وانصرف راجعًا إلى مكة المكرمة.

وظلت فى المدينة بجوار زوجها وابنها.. حتى استشهد زوجها عقب غزوة أحد.

وتروى كتب الأحاديث الصحيحة عن أم سلمه أن أبا سلمة رضى الله عنه حدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمره الله به من قول " إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرنى فى مصيبتى وعوضنى خيراً منها إلا آجره الله فى مصيبته وكان قمينًا أن يعوضه خيراً منها.." فلما هلك أبو سلمه ذكرت الذى حدثنى به عن رسول الله فكنت أقول : "إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وعوضنى خيراً منها" ثم قلت: انى أعاضى خيراً من أبى سلمه؟ وأنا أرجو أن يكون الله قد أجرنى فى مصيبتى" وذكر بن سعد فى كتابه الطبقات أن أبى سلمه دعا لها قبل موته قائلاً « اللهم أرزق أم سلمه بعدى رجلاً خيراً منى. لا يجز منها ولا يؤذيها.»

وبعد وفاة زوجها تقدم إلى الزواج منها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ورفضت برفق.

وتقدم إليها النبى ﷺ خاطباً إلا أنها تمنت ذلك ولكنها رأت نفسها قد جاوزت سن الشباب وأصبحت كبيرة السن ومعها عيال ومع النبى ﷺ زوجاته عائشة وحفصه وسوده. فأرسلت إلى النبى ﷺ تقول : إنها تغار .. وكبيرة فى السن وذات عيال. فقال ﷺ لها : «أما أنك مسنة فأنا أكبر منك وأما الغيرة فيذهبها الله عنك وأما العيال فإلى الله ورسوله .»

ووافقت أم سلمة وتم الزواج فى السنة الرابعة من الهجرة فى شهر شوال على الصحيح من الأقوال.

وسكنت أم سلمه فى مكان السيدة زينب بنت خزيمة التى توفيت قبل زواج النبى ﷺ بها.

أم سلمه فى بيت النبوة :

وعاشت أم سلمه فى بيت النبوة تقوم بواجبات الزوجية، وترعى أطفالها من زوجها أبى سلمه وتسأل رسول الله ﷺ : " يا رسول الله هل من أجر فى بنى أبى سلمه أن أنفق عليهم ؟ ولست تباركتهم هكذا وهكذا .. إنما هم بنى . قال : نعم لك أجر ما أنفقت عليهم .»

وعندما راجع عمر بن الخطاب ابنته حفصه زوجة النبى ﷺ وقال لها : يا بنية إنك تراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ؟ فقالت حفصة : والله إنا لنراجعه .. فقال عمر : أعلمى أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ يا بنية، لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ – يقصد عائشة – ثم قال : ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمه لقرابتى منها، فكلمتها فقالت له أم سلمه :

– عجبًا لك يا ابن الخطاب، قد دخلت فى كل شىء حتى تتبقي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه ؟

قال عمر : فأخذتنى ، والله أخذًا كسرتنى به عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها.

وكانت رضى الله عنها ذات مكان عند رسول الله ﷺ ونلحظ ذلك فيما رواه أهل السيرة أن النبى ﷺ كان فى بيتها وعندها ابنتها زينب وجاءت السيدة فاطمة الزهراء وولداها الحسن والحسين رضى الله عنهم فضمهما إليه وتلا قوله تعالى : ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد ﴾ فبكت أم سلمه فنظر إليها رسول الله ﷺ وسألها فى حنو : ما يبكيك ؟

قالت : يا رسول الله خصصتهم وتركتنى وأبنتى. قال : انك وابنتك من أهل البيت.

وتربى أولاد أم سلمه من زوجها السابق أبى سلمه فى رعاية وكفالة النبى ﷺ فأصبحوا من ربائب النبى ﷺ ومن أهل البيت رضوان الله عليهم.

وفى العام السادس من الهجرة خرج رسول الله ﷺ ومعه الصحابة إلى مكة لأداء العمرة ولكن قريش صدت الرسول وصحبه عن أداء العمرة عند الحديبية ثم جاءت الوسطاء لحل الخلاف وانتهى الأمر بصلح الحديبية، واتفقوا أن تكون العمرة فى العام المقبل .. وشق ذلك على الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، وقال لهم رسول الله ﷺ : «قوموا فانحروا ثم احلقوا» كى يتحللوا من نسك العمرة ويعودوا إلى المدينة المنورة حسب الإتفاقية والصلح الذى عقد مع قريش، إلا أن المسلمين لم يفعلوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمه وكانت فى صحبته وذكر لها ما حدث من المسلمين .. فأشارت عليه أن يخرج إليهم دون أن يكلم أحداً منهم ثم يدعوا الحلاق فيحلق ويأتى بالهدى، فيذبحه .

فخرج إليهم وفعل ما أشارت عليه أم سلمة فقام المسلمون وفعلوا ما فعل رسول الله ﷺ وانتهت الأزمة .

وقد وصف المؤرخون أم سلمة أنها ذات جمال بارع وعقل رشيد ورأى صائب. وكان أبلغ دليل على رجاحة عقلها وصواب مشورتها ما حدث يوم الحديبية حيث رجع المسلمون إلى عقولهم بعد أن غلبتهم العواطف الجياشة عند زيارة بيت الله الحرام وأداء العمرة التى جاءوا من أجلها ومنعتهم قريش من أداءها.

وصحبت أم سلمة رسول الله ﷺ فى غزوات كثيرة مثل فتح مكة وفتح

خيبر وغزوة هوازن وثقيف وحصار الطائف ثم حجت معه حجة الوداع عام عشرة من الهجرة وعاشت بعد وفاة النبى ﷺ حتى ماتت بعد واقعة كربلاء التى استشهد فيها الحسين بن على رضى الله عنهما، وصل عليها الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه ودفنت بالبقيع. وكانت آخر أمهات المؤمنين موتًا رضى الله عنهن أجمعين.

٧- زينب بنت جحش (١)

رضى الله عنها

إنها سيدة من أهل البيت .. ابنة عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم.. إنها زينب بنت جحش بن رباب الأسدية تكنى بأم الحكم.

ولدت بمكة قبل الهجرة بأكثر من ثلاثين سنة، ذات شرف وسيادة ونسب أصيل، فهى من فضليات نساء قريش، أخوالها أعمام النبى ﷺ : الحمزة والعباس، وخالتها صفية بنت عبد المطلب، أخواها عبد الله بن جحش وأبو أحمد بن جحش من السابقين إلى الإسلام، فعبد الله شهيد أحد وأبو أحمد كان كفيف البصر وشاعراً من شعراء الإسلام.

وكانت زينب بنت جحش تعتز بنسبها وتفخر به وزادها الاعتزاز والشرف بلحوقها بالبيت المحمدى فى المدينة المنورة.

وقد هاجرت زينب بنت جحش مع أهلها من دار بن جحش ، إلى المدينة حتى غلقت دور قومها بنى جحش.

وكانت زينب صوامة قوامة عابدة لله – سبحانه وتعالى –

أسلمت بمكة وتحملت أذى قريش مع من آمن وأسلم من قومها.

خطبها النبى ﷺ لابنه بالتبنى زيد بن محمد الذى كان يدعى زيد بن حارثة، وقد اعتقه من الرق وخيره أن يبقى معه أو يذهب مع أبيه وعمه اللذين جاءا إلى رسول الله ﷺ قبل بعثته كى يدفعوا فداءه، فاختار زيداً أن يبقى مع رسول الله ﷺ، فأعلن رسوله ﷺ أنه ابنه يرثه وله كافة حقوق الابن.. كما كان العهد بذلك قبل الإسلام وفى صدر الإسلام حتى أبطل الله عادة التبنى كما سنعرف.

---

(١) نساء أهل البيت - منصور عبد الحكيم - مطبعة التوفيقية .

حين خطبها الرسول ﷺ لزيد قالت :

– أتزوج عبداً وأنا سيدة عبد شمس. ولا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش.

وشاركها فى الرأى أخوها عبد الله بن جحش ورفض أن تكون أخته وهى قرشية حسيبة أصيلة وابنة عمة النبى ﷺ أن تكون زوج رجل كان من الموالى وعبداً رقيقاً.

لكن الإسلام أراد أن تزول كل هذه الاعتبارات القائمة على العصبية الجاهلية، ويعلن للناس أن أكرمكم عند الله أتقاكم.

وأحب رسول الله ﷺ أن تتزوج زينب بنت عمته من مولاه وابنه بالتبنى وحبه فقال لها :

– « بل فانكحيه فإنى قد رضيته لك ».

وقبل أن تتردد زينب فى الرد على رسول الله ﷺ نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦) ﴾ [الأحزاب].

ولم يبق أمامها إلا الامتثال لأمر الله ورسوله.

فقالت : رضيته يا رسول الله منكحاً.

فأجاب ﷺ : قد رضيته لك.

وتم زواجها بزيد بن حارثة، فكانت طاعته لله ورسوله بركة عليها، وأى فى الإسلام حيث حققت بتلك الزيجة أولا المساواة فى الإسلام ثم ثانياً كما سنعرف إبطال عادة التبنى.

ولكن تلك الزيجة لم يكتب لها الوفاق، ولم ينشرح قلب زينب لزيد ابن

حارثة، وتصاعدت المشاكل الزوجية بينهما، ويشتكى زيدا لرسول الله ﷺ من تعاظم زينب عليه لشرفها ونسبها، فيرد عليه النبى ﷺ - «أمسك عليك زوجك واتق الله».

ويجدد زيدا شكواه، ورسول يجيبه نفس الإجابة : « أمسك عليك زوجك واتق الله».

ولم يستمر الزواج إلا عامًا أو يزيد قليلاً.. وجاء الأمر الإلهى بتطليق زيد بن حارثة من زينب بنت جحش ثم زواجها من النبى ﷺ بعد قضاء العدة، وذلك لإبطال عادة التبنى التى كانت سائدة فى الجاهلية فأصبح زيد يدعى إلى أبيه حارثة، وحتى ينتهى الأمر تمامًا يتزوج النبى ﷺ الذي كان أبوه بالتبنى من زوجته التى كانت زوجة ابنه بالتبنى وينزل فى ذلك آيات تتلى إلى يوم القيامة، ويشرف زيد بأنه الصحابى الوحيد الذى ذُكر اسمه صراحة فى القرآن.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٣٧) ﴾ [الأحزاب].

وتفخر السيدة زينب بنت جحش على أمهات المؤمنين أن الذى زوجها لرسول الله ﷺ هو الله من فوق سبع سموات.

وكانت تقول لرسول الله ﷺ : أنى لأولى عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدى وجدك واحد، وإنى أنكحنيك الله - عز وجل - من السماء، وأن السفير جبريل عليه الصلاة والسلام.

هكذا كان زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش لحكمة وكذلك زواجها من النبى ﷺ أيضًا لحكمة أخرى غيرت معتقدات الجاهلية فى التبنى.

زينب بنت جحش فى بيت النبوة

وهكذا دخلت زينب بنت جحش البيت النبوى، وكانت البركة الثالثة لها أن نزلت آية الحجاب على النبى ﷺ صبيحة زواجه بها. فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بُنى على النبى ﷺ بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعيًا، فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجئ قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحدًا. أدعو، فقلت : يا نبى الله، ما أجد أحدًا أدعو، فقال : فارفعوا طعامكم، وبقى ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت، فخرج النبى ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله.

فقالت : وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك بارك الله لك ؟

فتقرئ حُجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة.

ثم رجع النبى ﷺ فإذا رهط فى البيت يتحدثون. وكان النبى ﷺ شديد الحياء. فخرج منطلقاً إلى حجرة عائشة. فما أدرى أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله فى أسكفة - عتبة الباب - داخله وأخرى خارجه، أرخى الستر بينى وبينه وأنزلت آية الحجاب.

وآية الحجاب التى نزلت هى قوله - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) ﴾ [الأحزاب].

وعاشت زينب بنت جحش فى بيت النبوة مع زوجاته الأخريات فى سعادة بالغة، رغم ما قد يحدث من أمور عادية فى الغيرة بين النساء، فقد كان النبى ﷺ يجلس عندها كثيراً، وتسقيه العسل الذى يحبه ﷺ ، وتسللت الغيرة إلى عائشة وحفصة فاتفقتا على أن تقول كل واحدة منهن للنبى ﷺ حين يدخل عليهن أكلت مغافير – صمغ– إنى أجد منك ريح مغافير.

يروى البخارى ذلك فى صحيحه بسنده عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فواطئت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له :

– أكلت مغافيراً إنى أجد ريح مغافير.

قال : لا.. ولكنى كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحداً.

ونزل الوحى كى ينصف زينب رضى الله عنها، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) ﴾ [التحريم].

وكان هذا درساً ربانياً لعائشة وحفصة حثهما على التوبة مما فعلا وعرفنا مكانة زينب بنت جحش رضى الله عنها وعنهن أجمعين.

وكانت السيدة زينب بنت جحش كثيرة الصدقات فى سبيل الله. فقد قال رسول الله ﷺ لزوجاته : « اسرعكن لحاقًا بى أطولكن يداً ».

فكانت أطولهن يدً زينب بنت جحش فكانت تعملْ بيدها لتتصدق.

وكانت كثيرة الصلاة والخشوع فيها فقال عنها رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب : «إن زينب بنت جحش أواهة». قيل : يا رسول الله ما الأواهة؟ قال : ﷺ : « الخاشعة المتضرعة » .

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) ﴾ [هود].

ورافقت زينب بنت جحش رسول الله ﷺ فى غزواته وفى حجة الودا ع، ولم تحج ولم تعتمر بعد وفاة النبى ﷺ هى وسودة بنت زمعة وكانت تقولا : والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ. فقد قال النبى ﷺ لنسائه فى حجة الودا ع : «هذه ثم ظهور الحصر»، وظهور الحصر يريد أن يلزم نساءه بيوتهن. والحصير هو ما يفرش به أرضية البيت وهو معروف عند العامة مثل السجاد.

وشهدت زينب بنت جحش لعائشة شهادة حق فى حادثة الإفك وقالت لرسول الله ﷺ حين سألها عن عائشة رضى الله عنها.

– يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، ما علمت إلا خيراً.

فحفظت لها عائشة شهادتها تلك فقد عصمها الله بالورع.

قالت عائشة رضى الله عنها : ولم أر امرأة خيراً منها – أى زينب بنت جحش – وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها فى كل شىء يتقرب به إلى الله –عز وجل – من زينب.

وعاشت بعد وفاة النبى ﷺ .. عابدة لله .. تكثر من الصدقات وكانت تعمل بيدها وتتصدق، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعرف مقدارها ويعطيها حقها فى بيت المال اثنى عشر ألفًا مثل أمهات المؤمنين، فكانت تنفق كل ما يصلها على أقاربها وذوى الأرحام والفقراء ولا تستبقى فى يدها شىء من المال.

وفى السنة التى توفيت فيها أرسل عطاء بيت المال اثنا عشر ألف درهم فجعلت تقول : اللهم لا يدركنى قابل هذا المال فإنه فتنة ثم قسمته فى أهل رحمها وفى أهل الحاجة حتى أتت عليه فبلغ عمر فقال : هذه امرأة يراد بها خير، فوقف على بابها وأرسل بالسلام، وقال : قد بلغنى ما فرّقت فأرسل إليها بألف درهم تستنفقها، فسلكت بها طريق ذلك المال .. وفرقتها أيضاً.

وماتت فى عام ٢٠ هـ فى عهد عمر بن الخطاب وصلى عليها ودفنت بالبقيع.. وكانت أولى نساء النبى ﷺ لحوقًا به. رضى الله عنها وأرضاها.

٨- جويرية بنت الحارث

رضى الله عنها

نشأت السيدة جويرية فى قومها بنى المصطلق بنت سيد القوم الحارث بن أبى ضرار المصطلقية .. كان أبوها سيد قومه مطاعًا فيهم له السيادة، ولكنهم كانوا رغم إشعاع نور الهدى على الجزيرة العربية إل أنهم فى جاهليتهم يغطون فى سبات عميق.

وتزوجت جويرية بنت سيد قومه وهى صغيرة السن بمسافع بن صفوان أحد فتيان خزاعة الذين هم أصل بنى المصطلق.

وعلم بنو المصطلق ما وصل إليه حال الإسلام والمسلمون من انتصارات، وخشى بنو المصطلق وهم على الشرك وعبادة الأوثان أن يصل إليهم المد الإسلامى فقام سيدهم الحارث بن أبى ضرار بتجهيز العدة، وتجميع القبائل من حوله لغزو المدينة والقضاء على الإسلام والمسلمين بها، وعلم رسول الله ﷺ بما يفعله الحارث بن أبى ضرار وبنو المصطلق، فأرسل إليهم بريدة بن الحُصَيب بن عبد الله السلمى ليأتيه بخبر القوم، وذهب إليهم بريدة وتحدث إلى الحارث زعيمهم، فوجد إصرارهم على مهاجمة رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وعادة بريدة إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما رآه وسمع من نية القوم على الغدر والقتال، فجهز رسول الله ﷺ جيش لغزو بنى المصطلق فى نحو سبعمائة مسلم وخرج إليهم مسرعًا.

ووصل الجيش المسلم بالقرب من بنى المصطلق فى منطقة تسمى المريسيع وهى عين ماء لهم فى الطريق من المدينة إلى مكة وكان عام ٥ هـ وأقام الجيش هناك، وتهيأ للقتال، وبلغ الحارث أمر الجيش، فتملكه الخوف والهلع

وتفرق عنه من جمعهم للقتال وأصبح مع قومه فى جمع يزيد عن السبعمائة مقاتل.

وأمر الرسول ﷺ عمر بن الخطاب أن ينادى عليهم أن يقولوا: «لا إله إلا الله كى يمنعوا بها أنفسهم وأموالهم».

ونادى عليهم عمر بن الخطاب بما أمره رسول الله ﷺ ، إلا أنهم رفضوا وأخذتهم العزة بالإثم وبدءوا الحرب ورمى رجل منهم المسلمين بنبله وسهمه، وأمر النبى ﷺ أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، ففعلوا، وأخذوا على عددهم فقتلوا منهم عشرة وأسروا الباقين نحو سبعمائة رجل وغنموا الأموال والنساء سبايا وكان نصراً مؤزراً.

وبعد هذا النصر السريع للمسلمين على بنى المصطلق عاد الجيش المنتصر إلى المدينة المنورة، بالغنائم وكان من بين السبايا جويرية بنت سيد قومها الحارث الذى فر من القتال، وقتل زوجها مسافع بن صفوان.. وكانت جويرية من نصيب الصحابى ثابت بن قيس الذي كاتبها على مبلغ من المال لفداء نفسها.

وكانت السيدة جويرية ذات عقل راشد راجح وجمال آخذ، وتفكير حصيف وفصاحة فى الحديث، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تقف على بابه تريد أن تتحدث إليه، وقد عانت من ذل الرق ولعبودية، ورأتها عائشة رضى الله عنها فقالت :

– فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب الحجرة فكرهتها وقلت : سيرى منها مثل ما رأيت.

فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت :

– يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه، وقد

أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت فى سهم ثابت بن قيس، وقد كاتبت على نفسى، فأعنى على كتابتى.

فقال رسول الله ﷺ :

- « وهل لك فى خير من ذلك ؟».

قالت : وما هو ؟

قال : « أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك».

قالت : نعم يا رسول الله .

ففعل رسول الله ﷺ ، فخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما فى أيديهم من بنى المصطلق، فلقد أعتق بتزويجه ﷺ إياها مائة من أهل بيت بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.

وكان اسمها برة سماها النبى ﷺ جويرية وكان عمرها عشرون عامًا.

وقدم أبوها إلى المدينة المنورة يعلن إسلامه بين يدى رسول الله ﷺ وأراد فداء ابنته وقال له :

- إن ابنتى لا يسبى مثلها، فأنا أكرم من ذلك. فقال له النبى ﷺ :

- « أرأيت إن خيرناها إليس قد أحسنت».

قال : بلى .

فأتاها أبوها فذكر لها ذلك فقالت :

- اخترت الله ورسوله.

وأسلم أبوها مع ابنين له وناس من قومه كما ذكر ذلك ابن هشام فى السيرة.

فى بيت النبوة

دخلت جويرية رضى الله عنها بيت النبوة وكانت من قبل قد رأت رؤيا قبل قدوم النبى ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرها، فلما وقعت فى الأسر، تمنت أن تحقق رؤياها وقد حدث.

منذ دخلت البيت النبوى وهى تحذو حذو أمهات المؤمنين فى الصلاح والعبادة والاقتباس من نور النبوة وكانت كثيرة التسبيح والذكر لله، فقد مر النبى ﷺ عليها وهى جالسة فى مصلاها أول النهار، ثم مر عليها وقريبًا من نصف النهار فقال لها : ما زلت على حالك؟ قالت: نعم، قال : ألا أعلمك كلمات تقوليهن: سبحان الله عدد خلقه ثلاثًا سبحان الله رضا نفسه ثلاثًا، سبحانه زنة عرشه ثلاثًا سبحان الله مداد كلماته ثلاثًا.

وروى مسلم فى صحيحه وأبو داود فى سننه عن جويرية رضى الله عنها قالت : أتى علىَّ رسول الله فقال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

وكانت رضى الله عنها واعية تقية عابدة لله، تحب الخير للناس، وقد روت الكثير عن رسول الله ﷺ وروى عنها صحابة رسول الله ﷺ وخرجت مع رسول الله ﷺ فى جهاده وغزواته ، وبعد وفاته ﷺ ظلت على عهدها من العبادة والعلم والتسابيح والذكر لله، ونشر أحاديث رسول الله ﷺ التى سمعتها منه وحفظتها عنه.

وعاشت حتى بلغت السبعين عامًا وتوفيت فى خلافة معاوية بن أبى سفيان عام ٥٠هـ ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة وقتها. رضى الله عنها وأرضاها.

٩- صفية بنت حيى

رضى الله عنها

بعد صلح الحديبية فى العام السابع الهجرى أظهر اليهود فى خيبر العداوة للرسول ﷺ ، وبعثوا إلى غطفان وأعراب البادية حولهم كى يؤلبوهم على حرب المسلمين ؟ وتجمعت الأخبار لدى النبى ﷺ بأنباء استعداد يهود خيبر لحرب المسلمين، وخيبر كانت عبارة عن حصون منيعة ومزارع ذات خير على بعد ما يقرب من ثمانية ميلاً من المدينة المنورة من الناحية الشمالية.

وكان رسول الله ﷺ قد أجلى يهود المدينة بعد تحالفهم مع مشركى العرب وتآمرهم على قتله، وتجمع اليهود من بنى قريظة وغيرهم فى خيبر مع أهلها أبناء عمهم من اليهود لخوض معركة فاصلة مع رسول الله ﷺ وأصحابه.

وحين عاد رسول الله ﷺ من الحديبية فى ذى الحجة، استنفر من معه من المسلمين للخروج إلى قتال يهود خيبر، فخرج الجيش المسلم فى أواخر المحرم من السنة السابعة.

وحين وصل الجيش قرب خيبر .. توقف رسول الله ﷺ ودعا ربه قائلاً : «اللهم رب السموات وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت، رب الشياطين وما أضلت، ورب الرياح وما أذريت، نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا باسم الله ».

وعسكر الجيش المسلم هناك دون أن يشعر بهم اليهود. فى الفجر صلى المسلمون صلاة الفجر، وانطلقوا حيث حصون خيبر، فرآهم اليهود الذين خرجوا فى الصباح لأعمالهم، ففروا إلى حصونهم، فقال النبى ﷺ : «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذ نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر، وحاربهم حتى تم له النصر عليهم، وفتح حصون خيبر كلها، وقتل زعيمهم حييّ بن أخطب ومن معه، وسبيت نساءهم ومنهن السيدة صفية بنت سيد القوم القتيل حييّ بن أخطب وابن عمها.

وكانت صفية بنت حييّ قبل إسلامها زوجة لسّلام بن أبى الحقيق ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق، وكانا من شعراء اليهود، وقتل زوجها كنانة ابن أبى الحقيق يوم خيبر.

وحين جمع السبى من نساء خيبر جاء إلى النبى ﷺ الصحابى دحية بن خليفة الكلبى وسأله أن يعطيه جارية من السبى فقال له ﷺ : «اذهب فخذ جارية». فاختار دحية صفية بنت حييّ وأخذها، فجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا نبى الله، أعطيت دحية صفية بنت حييّ سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك.

فقال : ادعوه بها.

فلما جاء بها، ونظر إليها النبى ﷺ قال : «خذ جارية من السبى غيرها».

وكان لرسول الله ﷺ من الغنيمة يدعى الصفيّ، إن شاء عبدًا أو أمة أو فرسًا يختاره قبل الخمس.

وذكر صاحب السيرة النبوية ابن هشام أن بلال مؤذن النبى ﷺ قاد صفية وابنة عمها ومرّ بهما على ساحة القتال وقد امتلئت بالقتلى من يهود، وتماسكت صفية بترفع ولم تجزع ولم تصرخ، كما فعلت ابنة عمها التى صكت وجهها صارخة وحثت التراب على رأسها ثم جيء بهما إلي رسول الله ﷺ وصفية فى حزنها الصامت، والأخرى معفرة بالتراب ممزقة الثياب لا تكف عن النواح، فقال ﷺ وهو يشيح بوجهه عنها : «اغربوا عنى هذه الشيطانة».

ثم دنا ﷺ من صفية فألقى عليها نظرة رحمة وعطف وهو يقول لبلال : «أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما».

ثم وألقى عليها رسول الله ﷺ رداءه، فكان ذلك إعلامٌ بأنه قد اصطفاها لنفسه، ولم يعرف المسلمون أتزوجها أم اتخذها أم ولد، فلما حجبها عرفوا أنه تزوجها.

وخير رسول الله ﷺ صفية بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها أو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويتزوجها فاختارت الله ورسوله. فأعتقها وجعل عتقها صداقها.

وتروى السيدة صفية أنها حين التقت برسول الله ﷺ ما من أحد أكره إلىَّ منه فقال : إن قومك صنعوا كذا وكذا، فما قامت من مقرها حتى صار أحب الناس إليها.

ثم إن النبى ﷺ لما طهرت تزوجها وانتظر بخيبر حتى ذهب الروع منها وحملها وانطلق عائدًا إلى المدينة، وعلى بعد ستة أميال من خيبر أراد أن يواسيها ولكنها تمنعت عليه، فوجد فى نفسه وشق عليه تمنعها ذلك.

وواصل النبى ﷺ بالجيش المسير حتى وصل إلى المدينة. وعسكر بالصهباء ونزل للراحة فبدا له أن صفية متهيئة للعرس، وجاءتها أم أنس بن مالك. فمشطتها وجملتها وعطرتها، وأقيمت وليمة العرس وأكل الناس، ودخلﷺ على صفية فأقبلت إليه متلهفة فسألها عن امتناعها أول مرة فأجابت خشية عليك من اليهود.

أى أنها انتظرت حتى فارق الأراضى التى بها اليهود من أراض خيبر حتى وصل المدينة.

وروت له رؤيا رأتها فى ليلة عرسها بكنانة بن أبى الحقيق زوجها السابق .. حيث رأت فى المنام أن قمراً وقع فى حجرها، فلما صحت من نومها عرضت رؤياها على زوجها فقال غاضباً : ما هذا إلا أنك تمنيتى ملك الحجاز محمداً .

وكانت وقت أن تزوجها النبى ﷺ فى السابعة عشر من عمرها، ذات جمال وضاء قالت عنها أم سنان الأسلمية حين رأتها : أنها لم تر بين النساء أضوء منها .

وحين قدمت إلى المدينة المنورة غارت السيدة عائشة رضى الله عنها منها فسألها النبى ﷺ ضاحكاً :

- كيف رأيت يا شقيراء ؟

فأجابت والغيرة تملؤها : رأيت يهودية.

فرد عليها ﷺ : لا تقولى ذلك، فإنها أسلمت وحسن إسلامها .

ودخلت صفية بيت النبوة وازدادت شرفاً، وعظمت مكانة، وبلغها مرة أن حفصة قالت لها : بنت يهودى، فبكت ودخل عليها النبى ﷺ وهى تبكى فقال : ما يبكيك؟ فقالت : قالت لى حفصة : إنى بنت يهودى. فقال لها ﷺ : إنك لابنة نبى وإن عمك نبى، وإنك لتحت نبى[1]، ففيم تفخر عليك؟ فقال لحفصة : اتق الله يا حفصة.

فكانت كلماته لها برداً وسلاماً وشرفاً .

وأصبحت تفاخر إذا سمعت شيئاً من المفاخرة عليها تقول : كيف تكونان خيراً منى، وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى.

وعاشت صفية فى بيت النبوة يحيطها رسول الله ﷺ بالحب والرعاية،

---

(١) أى أنها تنتسب إلى موسى وهارون عليه السلام وزوجة رسول الله .

حتى أنه ليخرج لها من المعتكف حين جاءته بليل تزوره، وتحدثه، ولما خرج إليها مر رجلان من الأنصار منها رأيا رسول الله ﷺ ومعه امرأة فى الظلام أسرعا، فقال لهما :

– على رسلكما، إنها صفية بنت حيىٍّ.

فقالا : سبحان الله يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً».

وكان ذلك في الأيام الأواخر من شهر رمضان.

وبعد وفاة النبى ﷺ، وفى عهد عمر بن الخطاب يذكر أصحاب السير أن جارية لصفية زعمت عند عمر أن صفية تحبُ السبت، وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها فقالت :

– أما السبت فلم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لى فيهم رحمًا فأنا أصلها.

ثم قالت للجارية : ما حملك على ما صنعت ؟

قالت الجارية : الشيطان.

فقالت صفية رضى الله عنها فى عقل وحلم : فاذهبى فأنت حرة.

فكان هذا الموقف من الجارية دليل عقلها وحلمها وإيمانها الشديد بالله رضى الله عنها، وكانت تكثر من إخراج الصدقات وكانت تصل أرحامها من اليهود حتى أنها أوصت بثلث تركتها وكانت قد ورثت ألف درهم لابن أختها وكان يهوديًا وأنفذت وصيتها بعد موتها كما ذكر ذلك ابن سعد فى الطبقات.

وقد عاشت صفية بعد رسول الله ﷺ، وروت عنه ما يقرب من عشرة أحاديث وظلت على حُسن إسلامها عابدة لله، وتوفيت عام ٥٠ هـ فى عهد معاوية بن أبى سفيان ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة. رضى الله عنها وأرضاها.

١٠- أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان

رضى الله عنها

حين جاء الأمر الإلهى لرسول الله ﷺ .. ﴿قم فانذر﴾ ونادى على قومه من قريش .. إنى لكم نذير مبين .. لم يصدقه إلا القليل على خوف من قومهم، ومن هؤلاء النفر القليل كان عبيد الله بن جحش الذى كان أحد أربعة لم يعبدوا الأصنام فى قومهم ، ولكنه لم يتبع ديانة أو عقيدة حتى جاء الإسلام فأسلم.

وكان عبيد الله قد تزوج من أحدى شريفات قريش حسبًا ونسبًا ألا وهى رملة بنت أبى سفيان بن حرب زعيم مكة وسيد بنى أمية.

وأسلمت رملة بنت أبى سفيان مع زوجها وأسلم كذلك أخو عبيد الله عبد الله بن جحش وأخته حمنة بنت جحش وزينب بنت جحش فكانوا من السابقين للإسلام.

وحاول زعيم قريش الذي وقف بجانب أعداء الإسلام، أن يثنى ابنته وزوجها عن إسلامهما فلم يستطع فابنته على جانب كبير من العقل وقوة الإرادة والرأى، وحارب أبو سفيان المسلمين الأوائل بمكة وكذلك كبراء قومه كأبى جهل وأبى لهب واشتدت وطأتهم على الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ، وأذن الرسولﷺ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة فهاجر من هاجر إليها من المسلمين، وهاجرت رملة بنت أبى سفيان مع زوجها عبيد الله بن جحش فى الهجرة الثانية للحبشة وكانت حاملاً، فما أن وصلت إلى أرض الحبشة حتى وضعت ابنتها حبيبة وبها تكنى.

وظلت أم حبيبة فى الحبشة تحافظ على دينها ملازمة الصلاة والعبادة،

بينما انخرط زوجها عبيد الله فى ملازمة الرهبان والقساوسة فى الأديرة والكنائس.

وذات ليلة نامت أم حبيبة فإذا هى ترى فى منامها كأن عبيد الله بن جحش بأسود صورة وخلقة، ففزعت لما رأت.

ولم يمض سوى ساعات الصبح حتى أعلن زوجها عبيد الله بن جحش عليها أنه عاد إلى دين النصرانية التى تركها قبل ذلك وترك ملة الإسلام ودعوة محمد ﷺ . فقالت له : والله ما خير لك ! وأخبرته بما رأت من رؤيا موحشة مفزعة له فلم يأب لذلك.

وارتد عبد الله زوجها عن الإسلام وحاول أن يرد زوجته أم حبيبة عن الإسلام، ولكنها صمدت أمام تلك الردة التى أصابت زوجها، وحاولت أن ترجعه إلى الإسلام مرة أخرى دون جدوى . وانفصلت أم حبيبة عن زوجها وتركها وحيدة تعانى آلام الغربة وما حدث لزوجها من كفر بعد إيمان، ولن تستطيع العودة إلى مكة مرة أخرى فيتمكن منها أبوها فيفتنها عن دينها، فقررت الاعتكاف فى منزلها صابرة محتسبة حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

ولم يلبث زوجها طويلاً حتى مات على الكفر فخسر الدنيا والآخرة فى أرض الحبشة. فمات وهو مكبًا على شرب الخمر.

أم حبيبة ورسول الله ﷺ

وتصل أخبار أم حبيبة بنت أبى سفيان إلى رسول الله وهو بالمدينة المنورة قد هاجر إليها، فرأى أن يكرمها وأن يقف بجانبها مؤيدًا لها، فعزم على أن يتزوجها وهى فى بلاد الغربة، وكانت أم حبيبة قد قاربت من الأربعين من عمرها .

وأرسل النبى ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة كى يزوجه من أم حبيبة بنت أبى سفيان، وأن يكون النجاشى وكيله فى عقد الزواج.

وأرسل النجاشى جاريته إلى أم حبيبة كى تزف إليها البشرى، فدخلت عليها قائلة : إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلىَّ أن أزوجكه. وفرحت أم حبيبة فرحًا شديدًا، لقد آن لها أن تفرح وتخرج من أحزانها.

ووكلت أم حبيبة أحد أقاربها فى تزويجها وهو خالد بن سعيد بن العاص من المهاجرين للحبشة ﷺ وأهدت أم حبيبة الجارية التى بشرتها سوارين من فضة وحلتها بهما وخلخالين وخواتيم من فضة، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة دينار فكانت أكثر زوجاته صداقًا.

وجاء فى حفل الزواج أن النجاشى أمر جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين أن يحضروا، فحضروا وقام النجاشى خطيبًا فى ذلك الجمع الذى شهد عقد الزواج من أم حبيبة بنت أبى سفيان على رسول الله ﷺ فقال :

« الحمد لله الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم، أما بعد: فإن رسول الله ﷺ كتب إلىَّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينار».

ثم سكب الدنانير بين يدى القوم من المسلمين وجلس مكانه، وقام وكيل العروس خالد بن سعيد بن العاص يخطب فقال :

«الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد : فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان. فبارك الله لرسول الله ﷺ».

ودفع النجاشى الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ثم دعى النجاشى المسلمين إلى وليمة العرس فأجابوا .

هكذا جاء أمر هذا الزواج فى كتب السيرة والحديث بطرق مختلفة أوردناها مختصرة .

وظلت أم حبيبة بنت أبى سفيان بالحبشة مع من بقى من المسلمين زمنًا طويلاً حتى عادوا جميعًا من دار الهجرة إلى المدينة فى العام السابع عقب فتح خيبر وقد فرح الرسول ﷺ لهم كثيراً .

وظلت أم حبيبة بنت أبى سفيان البيت النبوى بعد السيدة صفية بنت حيىٍّ، رغم أنه عقد عليها دون دخول منذ فترة طويلة.

أم حبيبة فى بيت النبوة

عاشت أم حبيبة المهاجرة الصابرة أخيرًا فى بيت النبوة، وراحت تنهل من فيض الإيمان وتستمع لآيات الله نُزلت على رسول الله ﷺ وتعوض ما فاتها فى هجرتها بالحبشة، فأصبحت إحدى فقيهات نساء المسلمين فى عصرها .

وعاصرت أم حبيبة صلح الحديبية حين أراد الرسول ﷺ أداء العمرة مع أصحابه وصدتهم قريش ومنعتهم من دخول البلد الحرام، وظلوا فى الحديبية حتى تم الصلح بين المسلمين وقريش وعقد الهدنة فيما بينهما على أن يأتى المسلمون لأداء العمرة فى العام القادم، ومن شروط المعاهدة حرية الاختيار للقبائل فى الإنضمام إلى الفريقين المتصالحين.

وانضم قوم خزاعة إلى جانب الرسول ﷺ وانحاز بنو بكر إلى قريش.

وبعد مرور عام قام المسلمون بأداء لعمرة التى سميت بعمرة القضاء، وذلك حسب شروط المعاهدة وظلوا بمكة ثلاثة أيام.

وبعد ذلك لم تلبث المعاهدة طويلاً حيث غدرت قريش بالمسلمين ونقضت إحدى شروط المعاهدة، وساعدت قريش بنى بكر فى العدوان على حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة.

وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين من قومه إلى المدينة المنورة يستنصر رسول الله ﷺ، وأخبره بغدر قريش، فقال له الرسول ﷺ : «نصرت يا عمرو بن سالم».

وعلمت قريش بأمر بنى خزاعة وأنهم وفدوا إلى المدينة يستنصروا رسول الله ﷺ وخافت قريش وندمت على فعلتها مع خزاعة، وأرسلت أبى سفيان إلى المدينة ليؤكد أمر لهدنة والصلح ويستزيد مدتها.

وقدم أبو سفيان إلى المدينة المنورة، وذهب إلى بيت ابنته أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ ، وحين أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ابنته أم حبيبة. فقال لها :

- يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى ؟

قالت له : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس.

قال : والله لقد أصابك بعدى شر.

قالت : هدانى الله للإسلام، وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك دخول فى الإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر.

قال : يا عجباه ! وهذا منك أيضًا ؟ أأترك ما كان يعبد أبى وأتبع دين محمد.

ثم قام من عندها حزينًا لما وجده من صراحة وقوة إيمان عند ابنته.

هكذا كان موقف أم حبيبة رضي الله عنها من أبيها الذى كان على

الشرك وقتها، واجهته بحقيقة كفره وشركه بالله، وهو كبير قومه.

وذهب أبو سفيان إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكلمه فأبى أبو بكر الصديق أن يتوسط لأبى سفيان عند رسول الله ﷺ ، وذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يجبه إلى طلبه وهكذا فعل عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وسعد بن عبادة، وعاد أبو سفيان إلى قومه خائبًا لم يحقق ما يرجوا قومه من استمرار المعاهدة والصلح بعد الغدر الذى حدث منهم.

وجهز رسول الله ﷺ المسلمين لفتح مكة فى جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، وتم له فتح مكة دون قتال ودخل أهلها فى دين الله أفواجًا وعلى رأسهم زعيمهم أبو سفيان بن حرب أبو أم حبيبة رضى الله عنها.

وعاشت أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنها بعد رسول الله ﷺ، عابدة مؤمنة تروى عنه أحاديث كثيرة حوتها كتب الأحاديث، وكانت حياتها مثالاً للزهد والعلم ولم تفارق مصلاها، وعاشت حتى أدركت خلافة معاوية بن أبى سفيان أخيها وحين وافتها المنية دعت السيدة عائشة رضى الله عنها وقالت لها :

– قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك.

فقالت عائشة :

– غفر الله لك ذلك كله وتجاوزه، وحللتك من ذلك كله.

فقالت : سررتنى سرك الله.

وأرسلت إلى أم سلمة وقالت لها مثل ذلك.

وتوفيت بالمدينة عام ٤٤ هـ. رضى الله عنها وأرضاها.

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية

هى الصحـابيـة الجليـلة ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، زوج النبى ﷺ.

تزوجها فى البدء مسعود بن عمرو الثقفى قبل الإسلام، ففارقها، فتزوجها أبو رهم، ثم مات عنها، فتزوجها الرسول ﷺ بعد انتهائه من عمرة لقضاء فى السنة السابعة.

وكانت أم المؤمنين الهلالية تقية، لا تخشى فى الله لومة لائم، يروى يزيد بن الأصم فيقول :

دخل ذو قرابة لميمونة عليها، فوجدت منه ريح شراب، فقالت : لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك، لا تدخل علىَّ أبداً.

ويقول ابن الأصم : تلقيت عائشة، وهى مقبلة من مكة ، أنا وابن أخته ، وقد كنا وقعنا فى حائط بالمدينة، فأصبنا منه، فبلغها ذلك، فأقبلت على ابن أختها تلومه، ثم وعظتنى موعظة بليغة، ثم قالت :

أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك فى بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة، ورُمى بحبلك على غاربك.

أما إنها- يعنى ميمونة - كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم.

وقد روت أم المؤمنين عدة أحاديث، وجميع ما روته ثلاثة عشر حديثًا، رُوى لها سبعة أحاديث فى الصحيحين، وانفرد لها البخارى بحديث، ومسلم بخمسة ، وجملة مروياتها ستة وسبعين حديثًا.

ولم يختلفوا أن اسمها كان برة فسماها الرسول ﷺ ميمونة، وكانت قد انتهت من الحج، فلم تعش بعده طويلاً، فماتت عن طاعة وعمل مبرور.

وتوفيت ميمونة - رضى الله عنها- بموضع يسمى بسرف، وهو الذى تزوجها فيه الرسول ﷺ ، وذلك سنة إحدى وخمسين.

يقول ابن الأصم : دفنا ميمونة بسرف فى الظلة التى بنى بها فيها رسول الله ﷺ ، وكانت حلقت فى الحج، نزلت قبرها أنا وابن عباس.

وكان ابن عباس، وهى خالته، قد صلى عليها، ودخل قبرها هو وابن الأصم، وعبد الله بن شداد، وهم بنو أخواتها.

وكان ابن عباس - رضى الله عنهما - قد أمر فحُملت على الأعناق، وقال لهم :

إذا رفعتم نعشها، فلا تزلزلوها، ولا تزعزعوها، وارفقوا بها، فإنها أمكم.

فرضى الله عن أم المؤمنين الهلالية فى نساء بيت النبوة.

وسلام على ميمونة بنت الحارث فى الصحابيات الصالحات.

١ - سرارى الرسول ﷺ

أم إبراهيم القبطية

إنها صحابية جليلة دخلت إلى بيت النبوة، فنالت شرف الدنيا والآخرة.

إنها " مارية" القبطية، أم إبراهيم.

وتبدأ أيام دخولها إلى بيت النبوة عندما بعث المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة بمارية وأختها سيرين، وألف مثقال ذهبًا، وعشرين ثوبًا لينًا، وبغلته الدلدل، وحماره عفور، ويقال : يعفور .

وأرسلهم مع ابن عم لمارية شيخ كبير، وبعث بذلك كله مع حاطب بن أبى بلتعة.

فوهب رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت، وأسلمت مارية وأختها، وكان رسول الله ﷺ يحب أم إبراهيم القبطية، فأنزلها فى العالية فى مقدمة مدخل المدينة النبوية، فى الموضع الذى يقال له : مشربة أم إبراهيم.

وكان رسول الله ﷺ يختلف إليها هناك، وضرب عليها الحجاب، وكان يطأها بملك اليمين.

فلما حملت وضعت هناك، وقابلتها سلمى مولاة رسول الله ، فجاء أبو رافع زوج سلمى فبشر رسول الله ﷺ بإبراهيم، فوهب له عبدًا، وكان ذلك فى ذى الحجة من سنة ثمان، وتنافست الأنصار فى إبراهيم، وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبى ﷺ لما يعلمون من محبته لها.

وكانت أم إبراهيم فى دارها، وابن عمها يأوى إليها، ويأتيها بالماء والحطب، فقال الناس فى ذلك، علج[١] يدخل على علجة !

(١) العلج : الكافر .

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأرسل على بن أبى طالب فوجده علىّ، فلما رأى السيف وقع فى نفسه، فألقى الكساء الذى كان عليه، وتكشف فإذا هو مجبوب(١).

يقول أنس بن مالك رضى الله عنه : كان رجلاً يتهم بأم إبراهيم أم ولد رسول الله ﷺ ، فقال لعلى : « اذهب فاضرب عنقه ».

فأتاه علىّ - رضى الله عنه - فإذا هو فى ركى يتبرد فيها، فقال له علىّ: اخرج، فناوله يده، فأخرجه فإذ هو مجبوب ليس له ذكر، فكف علىّ عنه، ثم أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه لمجبوب !

أكون كالسكة المحماة أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فقال : «بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب».

وهذا الرجل الذى أساء به البعض الظنون، هو ابن عم مارية، الذى جاء معها من مصر، فاطمأن رسول الله ﷺ إلى ذلك.

وعاشت مارية - رضى الله عنها - حتى حزنت لموت ولدها إبراهيم، وحزن معها الرسول ﷺ ، وسائر المسلمين.

يقول أنس رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «ولد لى الليلة غلام فسميته بأبى إبراهيم ».

ثم دفعه إلى أم سيف امرأة حداد بالمدينة، يقال له : أبو سيف، فانطلق إليه، فقال ما شاء الله أن يقول ، قال أنس :

فلقد رأيت إبراهيم بين يدى رسول الله ﷺ، وهو يكيد بنفسه، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ :

«تدمع العين ، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى الرب، والله يا إبراهيم

---

(١) مجبوب : مقطوع الذكر.

إنك بك لمخزونون ».

سقطت دموع الرحمة من عينى النبى ﷺ شفقة، وكأنه أراد أن يقول : إن الذى يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمد من صاحبه، ولا استدعاء لا مؤاخذة عليه، وإنما المنهى عنه الجزع وعدم الصبر، فمجرد البكاء، ودمع العين ليس بحرام، بل هو رحمة، وإنما المحرم النوح، والندب، والبكاء المقرون بهما، أو بأحدهما.

وفى ذلك ترغيب فى الشفقة على الخلق والرحمة لهم، والترهيب من قساوة القلب، وجمود العين.

ثم صلى عليه صلاة الجنازة، وأعلم المسلمين أن ابنه مات وهو فى سن رضاع الثدى، حيث تغذيته بلبن الثدى، ومن كرامته أنه صار له من ترضعه فى الجنة.

فإنه لما توفى إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال النبى ﷺ :

« إن له مرضعًا يتم رضاعه فى الجنة ».

وفى رواية أخرى : « إن له لظئرين تكملان رضاعه فى الجنة ».

وعاشت مارية - رضى الله عنها - حتى توفى رسول الله ﷺ ، فكان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - ينفق عليها من بعده، حتى توفى.

ثم كان عمر - رضى الله عنه - ينفق عليها حتى توفيت فى خلافته، وذلك فى المحرم من سنة ست عشرة، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلي عليها عمر بن الخطاب، ودُفنت بالبقيع بالمدينة النبوية.

فسلام على أم إبرهيم فى نساء بيت النبوة.

وسلام على مارية فى الصحابيات الصالحات.

٢ - ريحانة بنت زيد

رضى الله عنها

فى العام السادس الهجرى هزم الله الأحزاب من قريش وحلفاءها الذين حاصروا المدينة حول الخندق حصاراً دام خمس عشر ليلة.

ولما كان بنو قريظة - اليهود- قد خانوا عهد الله ورسوله وتحالفوا مع الأعداء ضد المسلمين ونقضوا المعاهدة، فقد ذهب إليهم رسول الله ﷺ ومعه المسلمون لحصارهم بعد ذهاب الأحزاب من حول المدينة، وذلك امتثالاً لأمر الله - تعالى - . وأمر رسول الله ﷺ أن يؤذن بلال فى الناس : لا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة.

وانطلق المسلمون إلى بنى قريظة وحاصروهم ومرت الأيام ويهود بنى قريظة فى حصونهم، حتى ألقى الله الرعب فى قلوبهم ، وطلبوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ وكانوا سبعمائة وخمسة مقاتلا فأمر بهم أن يقيدوا وأن تجمع النساء والذرارى من الحصون وكانوا ألفاً.

وحكم فيهم سعد بن معاذ الأنصارى بناءً على طلبهم فقال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتغنم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار.

فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات.

وتم تنفيذ حكم سعد بن معاذ وقتلت الرجال، ووزعت السرارى من النساء والذرارى، فكان من نصيب رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد بن عمرو من بنى النضير.

وكانت ريحانة ذات حظ من الجمال، وتحظى بمكانة رفيعة فى قومها

وكانت تعيش مع زوجها قبل مقتله فى حياة رغدة.

وعرض عليها رسول الله ﷺ الإسلام فأبت، فتركها وشأنها فقال لها : «إن أسلمت اختارك رسول الله لنفسه». فأبت، فشق عليه ذلك ثم أسلمت بعد ذلك، وسر رسول الله ﷺ لإسلامها وخروجها من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والإسلام.

وحين أبت ريحانة الإسلام عزلها رسول الله ﷺ فى دار أم المنذر سلمى بنت قيس الأنصارية، فظلت عندها وشعرت بطمأنينة واستعرضت أحوال قومها اليهود وكيف غدروا برسول الله ﷺ وعهده، وكيف أنهم يعلمون أنه النبى لا كذب ولكنه الحقد الدفين فى قلوبهم، مرت كل تلك الأفكار والذكريات بخلدها، وجاء رسول الله ﷺ بعد فترة، ويعرض عليها الإسلام فأجابته : إنى أختار الله ورسوله. وأسلمت ودخلت البيت النبوى - وقد ثار تساؤل بن أهل العلم .. هل ريحانة من أمهات المؤمنين أى زوجة للنبى ﷺ أم سراريه ملك اليمين ؟.

قال البعض : إنها من نساءّ ﷺ .. ولكن الغالب والواقع يشير إلى كونها ملك يمين وأنها طلبت ذلك من رسول الله ﷺ ! فقد خيرها وقال : « إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت، وإن أحببت أن تكونى ملكى فعلت». فقالت : يا رسول الله أكون ملكك أخف على وعليك .

وهذا ما أكده الباذرى فى أنسابه أنها كانت ملك يمين.

ولم يذكرها أصحاب السير من زوجات النبى ﷺ أو مارية القبطية.

وعاشت رضى الله عنها فى بيت النبوة تنعم بلذة الإيمان ونور الإسلام ولم تدم حياتها طويلا فقد ماتت فى السنة العاشرة بعد عودته ﷺ من حجة الوداع ودفنها ﷺ بالبقيع رضى الله عنها وأرضاها.

ومن النساء اللواتى

لم يدخل بهن

١ - عَمْرةُ الكلابيَّة :

بنت يزيد بن رواس بن كلاب ، بلغ رسول الله ﷺ أن بها بياضاً ، فطلقها ﷺ ولم يدخل بها .

٢ - قُتيلة الكندية :

بنت قيس بن معْدى كَرِب بن جبلة الكِنْدية ، أخت الأشعث بن قيس ، قبض رسول الله ﷺ قبل خروجها إليه من اليمن، فخلف عليها عكرمة بن أبى جهل ، وكان سبب تزوجه إياها ، أن الأشعث قال للنبى لما بلغه تعوذ أسماء منه: والله يا رسول الله لأزوجنك من هى أشرف وأجمل وأنبت منها فزوجه قتيلة أخته .

٣ - سَنَا السُّلميَّة :

بنت أسماء بن الصلّت بن حبيب بن جابر بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمَّال بن عوف السُّلمى ، ماتت قبل أن يصل إليها رسول الله ﷺ .

٤ - شَرَافُ الكَلْبيَّةُ :

أخت دِحْية الكلبى الذى كان جبريل عليه السلام يأتى رسول الله ﷺ على صورته ، ماتت قبل دخول النبى ﷺ عليها.

٥ - العَاليَةُ الكِلابِيَّةُ :

بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن عبيد بن أبى بكر بن كلاب .

روى أنها مكثت عند رسول الله ﷺ ما شاء الله ثم طلقها ﷺ .

٦ - الجَوْنيَّة الكِنْدِيَّة :

ليست بأسماء بنت النعمان ، كان أبو أسَيْد الساعدى قدم بها عليه ، فتولت عائشة وحفصة مشطها وإصلاح أمرها ، وقالت إحداهما لها : إن رسول الله ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخلت أن تقول له : أعوذ بالله منك ، فلما دخل عليها قالت : أعوذ بالله منك ، فوضع كمَّه على وجهه وقال : «عُذْتِ بمَعاذ» .

٧ - ليلى الأَوْسيَّة :

بنت الخطيم الأَوْسيِّ ، أتته وهو غافل ، فتخطت منكبه ، فقال : «مَنْ هذا أكَلَه الأسدُ ؟ » قالت : أنا ليلى بنت الخطيم ، بنت مطعم الطير ، جئتك لأعرض عليك نفسى ، قال : قد قبلتُك فرجعت إلى أهلها ، فقلن لها : إنَّ رسول الله ﷺ كثير الضَّرائر وأنت امرأةٌ غيور ، ولسنا نأمن أن تغضبيه فيدعو عليك ، فأتته ، فأقالها ، فدخلت حيطان المدينة فشد عليها الأسد فأكلها .

٨ - صفية العنبرية :

بنت بشامة العنبرية ، وبنو العنبر فخذ من تميم ، وهو العنبر بن عمرو بن تميم ، كانت سُبيتْ ، فعرض عليها رسول الله ﷺ ردّها إلى أهلها أو تزوُّجَها ، فاختارت أهلها ، فردَّها إليهم ﷺ .

٩ - ضُبَاعَة القُشَيْرِيَّة :

كانت عند عبد الله بن جدعان التَّيمىِّ ، ثم طلقها فتزوجها هشام بن المغيرة المخزومى فأولدها : سلمة بن هشام ، وكان خيراً . فخطبها رسول الله ﷺ إلى سلمة ، فقال : حتى أستأمرها .

فقالت : أفى رسول الله ﷺ تستأمرنى ؟ قد رضيت . وبلغ رسول الله ﷺ أنها مسنّة كبيرة ، فأمسك عنها ، ولم يتكلم عنها بعد .

* فهؤلاء أزواج النبى ﷺ ممن دخل بها وممن لم يدخل بها ، ومن سُبيت له ، ومن أرجى منهن ومن آوى .

* واللائى قُبض عنهن - بلا خلاف فى ذلك - تسع حرائر وأُمُّ ولد : عائشة، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسَوْدة ، وأم سلمة ، وزينب ، وجويرية ، وصفية ، وميمونة . أرجى منهن خمسا : سودة ، وصفية ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وميمونة . وآوى أربعا ، وهنّ اللواتى قَسَم عليهن الليالى ، رضى الله تعالى عن جميعهن .

الفهرس.

تابع الفهرس